الشُّعُوبيَّة
في القرن الثَّاني والثَّالث الهجريّ

تأليف آية الله العظمى العَلَّامَة

الشَّيخ عبد الحسين الحِلِّيّ (١٢٩٩-١٣٧٥هـ)

جمع وتحقيق

م.م. أحمد عبَّاس نــزر الحِلِّيّ

Anti-Arabism in Second and Third Century A.H Written by the Scholar Ayatollah Sheikh Abdul Hussein Al-Hilli (1299-1375 A.H)

Collect and Palaeography by

Asst. Lect. Ahmed Nazer Al-Hilli

الملخَّص

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين والصَّلاة والسَّلام عَلَى أَشرفِ خَلقِ الله النَّبيِّ الأُمِّيِّ مُحَمَّد بن عبدِ الله وَعَلَى آلِهِ الطَّيبينَ الطَّاهرِينَ، وصحبهِ المُنتجبين، واللَّعنةُ على أَعدائِهم أَجمعين إِلى قيام يوم الدِّين.

أمَّـا بعد.. فالشُّـعُوبيَّة حركةٌ اجتماعيَّـةٌ قوميَّةٌ ظهرت بوادرهـا في العصر الأَمويّ (٤١هـ-١٣٢هـ)، لكنَّها ظهرت للعيان في العصـر العبَّاسيّ (١٣٢هـ-٦٥٦هـ)، وهم يرون بحسب الحديث المتواتر أَنَّهُ: «**لا فضل لعربيٍّ على أعجميٍّ إلَّا بالتَّقوى**»، وقد تصل إِلى تفضيل العجم على العرب، والانتقاص منهم، لكنَّ الله تعالى أَنكر هذا الأَمر، حيثُ قال: ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾[1].

وإِن أَصل كلمة الشعوبيَّة مشتقَّة مِن كلمة شعب، وجمعها شعوب، وأَقدم الكُتَّاب الَّذيـن أشـاروا إِلى الشُّـعُوبيَّة، هم الجاحـظ[2]، والزمخشريّ، الذي قـال: «وهم الَّذين يصغِّرون شأن العرب، ولا يرون لهم فضلًا على غيرهم»[3].

وأَمَّا ظهور الشُّـعُوبيَّة في الأدب والشِّـعر، فكان على يد عدد مِن الشُّعراء، ومنهم: الفـردوسيّ، والخيَّام، وأبو مُسـلم الخراسـانيّ، وأبو بكر الخرَّمـيّ، والرودكيّ، ومحمود الغزنويّ.

(١) الحجرات، الآية: ١٣.

(٢) البيان والتبيين: ٨.

(٣) أساس البلاغة: ٤٩٣.

وهـذا البحث مختـصٌّ في (**الشُّـعُوبيَّة في القرن الثَّـاني والثَّالث الهجـريّ**)، ودورها بصورةٍ مختصرةٍ وشـاملةٍ، لآية الله العُظمى الشَّـيخ عبد الحسـين الحِـلِّيّ (ت١٣٧٥هـ)، الأَمر الَّذي برهن على أَنَّهُ كاتبٌ مُبدعٌ، وناثرٌ فنِّيٌّ لهُ أسـلوبهُ الخاصُّ. وما ذكرهُ الشَّـيخ الحِلِّيّ يُعطي للقارئ كشـفًا تامًّـا عن تِلكَ المرحلة، وتغطيتهُ لأَغلـب الحوادث الواردة، وتحليل تِلكَ الأَحداث، والاستشهاد الدقيق بشعرِهم.

وأَخيرًا وليس آخرًا، نسـأل الله العليَّ القدير أَن يُسدِّدنا لما فيهِ الخير والصَّلاح، وأَن يُنـيرَ حرفنـا إِلى علمٍ جديدٍ فيـهِ خدمة للعلمِ والعُلـماء، وآخر دعوانـا أَن الحَمْدُ للهِ ربِّ العالمين.

الحِلَّة المحروسة

٢٠١٨م

Abstract

Anti-Arabism is a movement whose first seed appeared in the Umayyad era, but its emergence was clearly in the Abbasid era. It believes that the preference of the non-Arabs over the Arabs and that the Arabs have no superiority over the non-Arabs in any way. The true religion erased this characteristic with its famous saying (There is no difference between an Arab and a non-Arab except through piety) and that Sheikh Abdul Hussein Al-Hilli explained Anti-Arabism's history, roots, and its advocates, and cited their poetry and positions.

آية الله العُظمى
العَلَّامَة الشَّيخ عبد الحسين الحِلِّيّ[1]

اسمهُ ونسبهُ

هو أبو عليّ، الشَّيخ عبد الحسين بن قاسم بن صالح بن قاسم بن مُحَمَّد عليّ بن هليِّل الحِلِّيّ[2].

ولادتهُ ونشأته

وُلِدَ مترجمنا في الحلَّة، ونشأ فيها بوسطِ أُسرةٍ معروفة، تُعرَف بـ(آل هليِّل)، في أَوائِل شهر محرَّم الحرام مِن عام ١٢٩٩هـ[3]، وقِيل ١٣٠٠هـ[4]، وقِيل ١٣٠١هـ[5]، وقرأ فيها علوم العربيَّة، ثمَّ هاجر إلى النَّجف الأَشرف سنة ١٣١٤هـ؛ لينهل مِن نمير أَعلامها، فجدَّ واجتهد حتَّى نال درجة الاجتهاد مِن أُستاذهِ شيخ الشريعة[6].

(١) تُرجم لهُ في: شعراء الغريّ: ٥/ ٢٦٦-٣٠٠، معجم رجل الفكر: ١/ ٤٤٦-٤٤٧، الطليعة: ١/ ٤٩٠-٤٩٣، الذريعة: ٨/ ٢٩٢، ١٠/ ٢١٠، مستدرك أعيان الشيعة: ١/ ٨٢.

(٢) شعراء الغريّ: ٥/ ٢٦٦.

(٣) طبقات أعلام الشيعة: ١٥/ ١٠٦٩.

(٤) ماضي النَّجف: ٣/ ٢٨٦.

(٥) شعراء الغريّ: ٥/ ٢٦٦.

(٦) شيخ الشريعة: فتح الله بن محمَّد جواد النمازيّ الشيرازيّ الإصفهانيّ، وُلِدَ عام ١٢٦٦هـ، عاش فترةً في مدينة مشهد؛ ليحضر بعض الدروس الدِّينية هناك، واللقاء برجال الدِّين فيها. عاد بعد فترة إلى موطنه أصفهان متصدِّيًا للتدريس بعد أن نال درجة الاجتهاد، فانصرف إلى=

فصار عالـمًا ثبتًا، مُحقِّقًا مُدقِّقًا، فقيهًا أُصوليًّا، أديبًا شاعرًا كاتبًا، ويذكر الشَّيخ الخاقانيّ قائِلًا: «لا تجدني مبالغًا، ولا تراني مُغاليًّا، إذا قُلت إنَّ الأُستاذ الحِلِّيّ قليل النظير في النَّجف، مِن الوجهتَين العلميَّة والأدبيَّة، فهو العالم الَّذي تحضر لديه جملة مِن طلَّاب العلم وروَّادِهِ، ويستضيء عدد لا يُستهان بهِ مِن منتهلي المعارف كُلِّ يوم مِن نبراس علمهِ ومشعل أفكارهِ، ويرجع إليهِ في حلِّ المسائِل المشكلة الغامضة الَّتي تعي على الكثير مِن رجال الفنِّ، وأصحاب التدريس»[1].

هاجر إلى البحرين عام ١٩٣٦م ليتولى منصب القضاء في المحاكم الشرعيَّة، وبقي هُناك إلى يوم لقاء ربه عام ١٣٧٥هـ في المنامة بالبحرين ودُفِنَ فيها.

أساتذتهُ:

١. **العلَّامة شيخ الشريعة**[2]: لازم شيخ الشرَّيعة ملازمة الظلِّ، فأخذ عنهُ كثيرًا مِن العلوم، منها علميِّ الدرايَّة والرجال، وكثيرًا مِن الحديث والحكمة والكلام والهيئة والحساب، وقد أَجازهُ بالاجتهاد[3].

١. **العلَّامة السَّيِّد كاظم اليزديّ**[4].

=البحث والتدريس حتَّى ١٢٩٥هـ؛ فقد هاجر إلى العراق مستوطنًا مدينة النَّجف، فاستقطب حوله شريحة كبيرة من طلَّاب الحوزة الذين يحضرون دروسه في الفقه والأصول وغيرهما، وكان منهم: آغا بزرك الطهرانيّ، وعبد الهادي الحسينيّ الشيرازيّ. وبحلول عام ١٣١٣هـ، انحصر نشاطه في التدريس والبحث والتأليف والإفتاء، ولُقِّب حينذاك بـ(شيخ الشريعة). توفِّي سنة ١٣٣٩هـ. تنظر ترجمته في: معارف الرجال: ٢/ ١٥٤ برقم ٢٨١، أعيان الشيعة: ٨/ ٣٩١، معجم رجال الفكر والأدب: ٢/ ٧٦٧.

(١) شعراء الغريّ: ٥/ ٢٦٧.

(٢) مرَّ ذِكره.

(٣) شعراء الغريّ: ٥/ ٢٦٩.

(٤) السَّيِّد كاظم اليزديّ: هو مُحمَّد كاظم ابن السَّيِّد عبد العظيم اليزديّ، وُلِدَ في قرية (كسنو)=

٢. **الشَّيْخ مُلَّا مُحَمَّد كاظم الآخوند الخراسانيّ**[١].

٣. **العلَّامَة الشَّيْخ محمود بن مُحَمَّد بن ذهب**[٢]: أخذ عليه الفقه والأصول[٣].

تلامذتهُ

وَقَدْ تلمذ عليْهِ المئات مِنَ الرجال؛ فأخذوا عنهُ كثيرًا مِن هذهِ العلوم، وَقَدْ عُرِف في وسطهِ بحلقة كُبرى اختلف عليْهَا أَفَاضل القوم[٤]، ومِن تلامذتِهِ:

١. **الشَّيخ جعفر محبوبة**[٥]: قال: «قرأت أكثر كتاب المكاسب عند العلَّامة الشَّيخ

=عام ١٢٤٧هـ. قرأ مقدِّمات العلوم في يزد، وحضر أبحاث الشَّيخ مُحَمَّد باقر والشَّيخ مُحَمَّد جعفر الآباديّ، هاجر إلى النَّجف عام ١٢٨١هـ، فجد واجتهد حتَّى نال درجة الاجتهاد، وصار عالمًا فاضلًا، توفِّي في النَّجف الأشرف سنة ١٣٣٧هـ. تُنظر ترجمته في: معارف الرجال: ٢/ ٣٢٦-٣٢٩، أعيان الشيعة: ١٠/ ٤٣.

(١) الشَّيْخ مُلَّا كاظم الآخوند الخراسانيّ: هو مُحَمَّد بن كاظم ابن المُلَّا حسين الهرويّ الخراسانيّ. زعيم دينيّ، وفقيه أصوليّ، عالم جليل، متبحِّر في الفقه والأصول، جامع للمعقول والمنقول. وُلِدَ في خراسان عام ١٢٥٥هـ، ودرس العلوم العَرَبِيَّة والمنطق فيها. انتقل إِلَى النَّجف عام ١٢٧٨هـ؛ فنهل من نمير أعلامها. توفِّي سنة ١٣٢٩هـ. تنظر ترجمته في: أحسن الوديعة: ١/ ١٨٣، الأعلام: ٧/ ٢٣٧، الذريعة: ١/ ١٢٢، ماضي النَّجَف: ١/ ١٣٦، مُعجم رجال الفكر: ١/ ٣٩.

(٢) الشَّيخ محمود: محمود ابن الشَّيخ مُحَمَّد بن ياسين بن ذهب النَّجفيّ الظالميّ. عالم فاضل فقيه أصوليّ محقِّق، نابغة عصره، فريد دهره، مجتهد متقن، وأصوليّ بارع. متخصِّص بعلم العربيَّة والمنطق. تتلمذ على الشَّيخ مُحَمَّد كاظم الخراسانيّ، والشَّيْخ مُحَمَّد حسين الكاظميّ، والشَّيْخ هادي الطهرانيّ، والشَّيخ نعمة بن علاء الدِّين الطريحي، لهُ مؤلَّفات عديدة، توفِّي سنة ١٩٠٦. تنظر ترجمته في: أعيان الشيعة: ١٠/ ١١٠، ماضي النَّجف: ٢٣/ ١٢-١٣، معجم رجال الفكر: ٢/ ٥٨٤.

(٣) شعراء الغريّ: ٥/ ٢٦٩.

(٤) شعراء الغريّ: ٥/ ٢٦٩.

(٥) الشَّيخ جعفر: جعفر بن باقر بن جواد بن مُحَمَّد حسن آل محبوبة. وُلِدَ في النَّجف الأشرف=

عبد الحسين الحِلِّيّ[١]. وقال أيضًا: «أحد مشايخي في الفقه، مشارك في الفنون العقليَّة والنقليَّة، متقن لها»[٢].

٢. **الشَّيخ مُحمَّد رضا فرج الله النَّجفيّ**[٣]: درس السطوح على الشَّيخ عبد الحسين الحِلِّيّ[٤].

٣. **السَّيِّد عبد الرسول الطالقانيّ**[٥]: أخذ السطوح على الشَّيخ عبد الحسين الحِلِّيّ[٦].

فضلًا عن ذلِكَ أَشارَ الدُّكتور كامل سلمان الجبوريّ في كتابهِ (شيخ الشريعة) إلى تلامذتهِ: الدُّكتور الشَّيخ أحمد الوائليّ (ت١٤٢٤هـ)، والسَّيِّد مُحمَّد صالح ابن السَّيِّد عدنان الموسويّ البحرانيّ (١٣٣٨هـ)، والسَّيِّد عليّ بن السَّيِّد إبراهيم

=سنة ١٣١٤هـ ونشأ فيها، درس العلوم الأوَّليَّة والسطوح والبحث الخارج على أعلام عصره. لهُ مؤلَّفات عديدة. تُوُفِّي سنة ١٣٧٧هـ. تُنظر ترجمته في: الأعلام: ٢/ ١٢٢، معجم المؤلِّفين: (كحالة) ١٣/ ٣٧٨.

(١) ماضي النَّجف: ٣/ ٢٨١.

(٢) ماضي النَّجف: ٣/ ٢٨٦.

(٣) هو الشَّيخ مُحمَّد رضا: هو مُحمَّد رضا بن طاهر بن فرج الله بن مُحمَّد رضا بن محاسن. عالم أديب وفاضل جليل. وُلِدَ في النجف عام ١٣١٩هـ، ونشأ بها في حجر والده؛ فعني به. وتعلَّم المبادئ العربيَّة والمنطق ومُقدِّمات العلوم على بعض الفضلاء. لهُ مؤلَّفات عديدة، توفِّي ليلة الجمعة، ثالث ربيع الثاني سنة ١٣٨٦هـ. تُنظر ترجمته في: شعراء الغريّ: ٨/ ٤٣٨، ماضي النَّجف: ٣/ ٦١، الغدير: ١/ ١٥٧، أدب الطفِّ: ١٠/ ٢١١، معارف الرجال: ٣/ ١٥٤.

(٤) ماضي النَّجف: ٣/ ٦١.

(٥) عبد الرسول الطالقانيّ: هو عبد الرسول بن مشكور بن حمود الطالقانيّ النَّجفي، عالم، أديب، شاعر، وُلِدَ في النَّجف عام ١٣١٧هـ، قرأ مقدِّمات العلوم على جملة من العلماء، لهُ مؤلَّفات عديدة. توفِّي سنة ١٣٩٤هـ.

(٦) معجم الأدباء من العصر الجاهليّ: ٣/ ٤٣٠.

الغريفيّ البحرانيّ (ت١٣٩٤هـ)، والشَّيخ مُحَمَّد عليّ بن زين الدِّين الدرازيّ البحرانيّ[١].

مؤلَّفاتهُ

كان شيخنا الحِلِّيّ طويل الباع، واسع الاطِّلاع، صنَّف في علوم عديدة، في الفقه والأُصول والفلسفة والتأريخ والرجال والتراجم والشِّعر والأدب.

وقد ألَّف في السنوات الأخيرة في البحرين مُقدِّمات وتقاريظ لبعض الكتب، وتجدر الإشارة إلى أنَّهُ رحمه الله كان مخلصًا للعلم والحقيقة، لا يهمُّه أن ينشر أثرهُ باسمه أو اسم غيره[٢].

وذكر العلَّامة الطهرانيّ أنَّ العلَّامة الشَّيخ عبد الله المامقانيّ حدَّثه أيَّام اشتغاله بتأليف كتابه (تنقيح المقال في علم الرجال) عن المترجَم لهُ، يقصد الشَّيخ عبد الحسين الحِلِّيّ قائلًا: «كان أعظم مساعد ومعاضد لهُ على جمع وتأليف كتابهِ المذكور، وكذلِكَ ذكرهُ المامقانيّ في (مصفى المقال في مصنِّفي علم الرجال)، وبيَّن الطهرانيّ أنَّهُ سأل المترجَم لهُ [يقصد الشَّيخ عبد الحسين الحِلِّيّ] بعد وفاة المرحوم المامقانيّ عن ذلك، فقال لي: كنت قد كتبت بحوثًا عديدة وأجزاء كثيرة في تحقيق أحوال الرجال، وفوائِد وتنبيهات في مواضيع مختلفة مِن هذا العلم؛ ولـمَّا عزم المامقانيّ على التأليف في الرجال، قدمت لهُ كُلَّ كتاباتي، وأذنت لهُ أن يدرجها في كتابه باسمه، وبموجب نظرهِ، ففعل»[٣].

ومؤلَّفاتهُ هي، نذكرها بحسب الأبجديَّة:

١. الأصنام المعبودة في الإسلام.

(١) شيخ الشريعة: ٩.
(٢) يُنظر: طبقات أعلام الشيعة: ١٥/ ١٠٧٢.
(٣) يُنظر: طبقات أعلام الشيعة: ١٥/ ١٠٦٩ ١٠٧٠.

٢. آل أعسم: تاريخ وتراجم.

٣. حياة الشَّريف الرضيّ (ت٤٠٦هـ): دراسة قيِّمة، اختصرته لجنة في (منتدى النشر)، ونشرته في مقدِّمة الجزء الخامس مِن (حقائِق التأويل) للرضيّ.

٤. دراسة عن أبي فراس الحمدانيّ.

٥. دين الفطرة: كتاب ديني فلسفيّ يلائم روح العصر، يقع في جزأين.

٦. الجزء الأوَّل في آراء الملل الكبرى في العالم، والجزء الثَّاني في محاسن الشريعة الإسلاميَّة.

٧. ديوان شعر كبير.

٨. الردُّ على الطبيعيِّين.

٩. رسالة في ترجمة أستاذه (شيخ الشريعة الأصفهانيّ): طُبِعت بتحقيق الدُّكتور كامل سلمان الجبوريّ، سنة ٢٠٠٥م.

١٠. سيرته الذاتيَّة.

١١. الشجرة الملعونة.

١٢. شخصيَّات وأعلام العرب والإسلام.

١٣. شرح الاثني عشريَّة في الصَّلاة.

١٤. شرح العروة الوثقى.

١٥. شرح تشريح الأفلاك.

١٦. شرح منظومة في الإرث.

١٧. الشعائِر الحسينيَّة في الميزان الفقهيّ، ط٢، ١٩٩٥م، بتحقيق نزار الحائريّ.

١٨. شعرهُ: وقد نُشِر في مجلَّات وصحف عديدة، ولهُ شعر مخطوط أيضًا.

١٩. الشُّعُوبيَّة في القرن الثَّاني والثَّالث الهجري: بين يديك عزيزي القارئ.

٢٠. علم تفسير القرآن.

٢١. الفلك القديم والحديث.

٢٢. في آراء الملل الكبرى في العالم.

٢٣. في محاسن الشريعة الإسلاميَّة أُصولًا وفروعًا.

٢٤. كتاب عن الإمام جعفر بن محمَّد الصَّادق عليه السلام.

٢٥. مسائل فقهيَّة: طُبع سنة ١٩٦٤م.

٢٦. مصارع الكرام في وفيات النبيّ صلى الله عليه وآله والأئِمَّة عليهم السلام.

٢٧. منظومة في الأخلاق والآداب، في ألف بيت.

٢٨. النفحات القدسيَّة: كتاب كبير يتضمَّن مسائل كثيرة من مشكلات الفقه.

٢٩. النقد النزيه في الردِّ على رسالة التنزيه: وهو يتضمَّن تأييد الشعائر الحسينيَّة، ودفع الشكوك والشبهات الواردة عليها. طُبع سنة ١٣٤٧هـ.

٣٠. ينابيع الأحكام في أُصول الفقه.

مقالات وبحوث مختصرة:

هنالك العديد من البحوث والمقالات الَّتي نشرها الشَّيخ الحِلِّيّ، نذكر منها:

١. الخليل بين العروبة والفارسيَّة: مقال يقع في أربع أوراق، نُشر في مجلَّة الاعتدال، سنة ١٩٣٦م، في عددها الأوَّل.

٢. صحيفة مِن أدب الشريف الرضيّ، أو نبذة مِن شعرهِ: مقال يقع في ثلاث أوراق تقريبًا، نُشر في مجلَّة الاعتدال أيضًا، سنة ١٩٣٧م، في عددها الرابع والخامس.

٣. حول محاضرات المسيو ماسنيون (Louis Massignon) (ت ١٩٦٢م)[١]، (في سطر واحد، ثلاث غلطات تأريخيَّة): مقال يقع في ورقَتَين، نُشر في مجلَّة الاعتدال سنة ١٩٣٥م، في عددها الثَّاني.

ما قيل فيه

* **قال الشَّيخ علي كاشف الغطاء**: «فاضل، أديب، شاعر معاصر»[٢].

* **قال الشَّيخ الطهرانيّ**: «كان محبوبًا لدى كُلِّ مَن عَرفهُ مِن أَصدقائِهِ وزملائِهِ وتلامذتِهِ وغيرهم؛ لكثرة تواضعه وأدبِهِ النَّفسي وخلقه الرفيع وطيب قلبه، ولورعهِ وتقواه وصلاحهِ وشرف نفسهِ وإبائِهِ»[٣].

* **قال الشَّيخ السماويّ**: «فاضل مشارك في الفنون، ثاقب الفكر، دقيق النَّظر،

(١) لويس ماسنيون: مستشرق فرنسيّ، من العلماء من أعضاء المجمَعَين العربيَّين في دمشق والقاهرة. مولده ووفاته بباريس. تعلَّم العربيَّة والفارسيَّة والتركيَّة والألمانيَّة والإنكليزيَّة، وعني بالآثار القديمة، وأدَّت مشاركته في التنقيب عنها بالعراق (١٩٠٧-١٩٠٨) إلى اكتشاف (قصر الأخيضر)، ودرَّس (تاريخ الاصطلاحات الفلسفيَّة) بالعربيَّة، في الجامعة المصريَّة القديمة (١٩١٣). لهُ العديد من الآثار: ديوان الحلَّاج، و ابن سبعين، ومنتخبات من نصوص عربيَّة خاصَّة. تنظر ترجمته في: أعلام: ٥/ ٢٤٧.

(٢) الحصون المنيعة: ٩/ ٣١٩.

(٣) طبقات أعلام الشيعة: ١٥/ ١٠٧٠.

مصنِّف في العلوم، عاشرتهُ فرأيتهُ جميلَ العشرةِ، كريم الأخلاق، حصيف الرأي، طيِّب المفاكهة.. ودين قويم، ولهُ أدب جمٌّ وشعرٌ غزيز»[1].

* **قال الشَّـيخ مُحمَّد الأمينيّ**: «فقيه بارع وعالم كبير وأديب جليل، وكاتب متضلِّع مِن شيوخ الأدب ومشاهير العُلماء والفُقهاء وأبطال وأساطين الدِّين»[2].

* **قـال الشَّـيخ الخاقـانيّ**: «خفيف الروح حسـن المعشر، لا يظهـر بمظهر العظمة والرِّفعة، ومِن هُنا يأنس بهِ كُلُّ أَحد، وتسـتجلب ابتسـامته المطبوعة على ثغرِهِ الوضيع والشَّـريف، تعرض عليه شـعرك فيعيرك أذنًا صاغية، أمَّـا إذا أراد أن ينبّهك على خطأٍ ارتكبته مِن بيت غير موزون أو قافيَّة لا تلائِم أخواتها أو عيب غير هذا، فعند ذلِكَ تزداد ابتسامتهُ ويتلفت إِليكَ قائِلًا: أَيقالُ هكذا؟»[3].

* **قال الشَّيخ جعفر محبوبَّة**: «شديدُ الذكاءِ كثيرُ الحفظِ، فذٌّ في إتقان اللُّغة والتأريخ والحديث وفنون الأَدب، يجيد نظم الشِّـعر غايَّة الإجادة، ولكنَّهُ مقلٌّ منهُ، إِذ لا يتعاطاه كما يتعاطاه الشُّـعراء، بل كما يتعاطاه العُلماء الظُّرفـاء، وَلَمْ يزلْ عَلَى مَا هُو عَليهِ مِن صغرِ النَّفـس ودماثة الأَخلاق ولطف المفاكهة والميل لـلأَدب بِكُلِّهِ، مضافًا إِلى تقواه وورعهِ، ويحسن اللُّغة التركيَّة العثمانيَّة، وقرأ بعض الفرامين التركيَّة الَّذي عجز عن قراءتها التُّرك أنفسَهم»[4].

مكتبةُ الشَّيخ الحِلِّيّ ودورهُ في النَّسخ

كانت لهُ مكتبة تحتوي على كتب خطيَّة نفيسـة، كلَّف السَّيِّد مُحمَّد مهدي الخرسان،

(١) الطليعة: ١/ ٤٩٠.
(٢) معجم رجال الفكر: ١/ ٤٤٦.
(٣) شعراء الغريّ: ٥/ ٢٦٨.
(٤) ماضي النَّجف: ٣/ ٢٨٦-٢٨٧.

فوزَّعها على مكتبة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام العامَّة، ومكتبة آية الله السَّيِّد الحكيم، وذلِكَ قبيل وفاته[١].

وكان الشَّيخ الحِلِّيّ مولعًا بجمع الكتب القديمة والمهمَّة والبحوث والرسائل المعتبرة، وقد نسخ وجمع كثيرًا منها، ومِن بينها، نذكرها بحسب الأبجديَّة:

١. إبانة المختار في إرث الزوجة من ثمن العقار بعد الأخذ بالخيار[٢].

٢. أحكام النساء[٣].

٣. أساس الإيجاد في علم الاستعداد لتحصيل ملكة الاجتهاد: نسخت سنة ١٢٨٨هـ[٤].

٤. الأصل المثبت من مسائِل أُصول الفقه: جمعها العلَّامة الشَّيخ عبد الحسين الحِلِّيّ في حياة المؤلِّف في سنة ١٣٢٤هـ[٥].

٥. بشارة المصطفى لشيعة المرتضى[٦].

٦. بيع المعاطاة والصَّرف والخيارات[٧].

٧. تحريم ذبائح أهل الكتاب: فرغ منها في شهر رمضان سنة ١٣٢٢هـ[٨].

(١) معجم رجال الفكر: ١/ ٤٤٦.
(٢) مجلَّة تراثنا: ٥٤/ ٢٩١.
(٣) الذريعة: ١/ ٢٠٣، مستدرك أعيان الشيعة: ٢/ ٢٩٠.
(٤) الذريعة: ٢/ ٦.
(٥) مجلَّة تراثنا: ٥٦/ ٢٩٦.
(٦) مجلَّة تراثنا: ٥٧/ ١٨٥.
(٧) الذريعة: ٣/ ١٩٤.
(٨) مجلَّة تراثنا: ٥٨/ ١٨٦.

٨. تقريرات الشَّـيخ مرتضى الأنصاريّ في الأبحاث الفقهيَّة: وخطُّ الشَّـيخ الحِلِّيّ بتفاصيل ما في الكتاب[١].

٩. الجمع والتوفيق بين الفتويين[٢].

١٠. الدائرة الهنديَّة[٣].

١١. الرسالة الصوميَّة[٤].

١٢. رسالة النيَّة للشهيد الأوَّل[٥].

١٣. رسالة في أجزاء القضيَّة[٦].

١٤. رسالة في صلاة الجمعة ونفي عينيَّتها[٧].

١٥. رسالة في قبلة العراق وخراسان[٨].

١٦. رسالة في منجزات المريض[٩].

١٧. زبدة الدليل الموسوم بالوجيزة أيضًا[١٠].

(١) تراثنا: ٦٢/ ١٩٤.
(٢) الذريعة: ٥/ ١٣٤.
(٣) الذريعة: ٨/ ١٩.
(٤) شرح القواعد كتاب المتاجر: ١/ ٦٢.
(٥) غاية المراد في شرح نكت الإرشاد: ١/ ٢٠٧.
(٦) الذريعة: ١١/ ٣٢.
(٧) الذريعة: ١٥/ ٦٦.
(٨) الذريعةك ١٧/ ٤٥.
(٩) الذريعة: ٢٣/ ١٧.
(١٠) الذريعة: ١٢/ ٢٧.

١٨. شرح اللُّمعة للشّيخ عليّ بن محمود الطبسيّ[١].

١٩. شرح حديث المعدة بيت الداء والحميَّة رأس الدواء، وأصل كُلِّ داء البردة[٢].

٢٠. فائدة في الدماغ وحقيقتهُ وآثارهُ[٣].

٢١. كشف الظلام وقشع الغمام في المشيَّة والإرادة للهِ الملك العلَّام[٤].

٢٢. كنوز الأَسماء[٥].

٢٣. مبلغ النظر ونتيجة الفكر: عليها حواشٍ للشّيخ الحِلِّيّ[٦].

٢٤. مجموعة رسائل[٧].

٢٥. مدارج النمل في علم الرمل[٨].

٢٦. مضامير الامتحان في ميادين المسابقة والبرهان[٩].

٢٧. مناسك الحجِّ العربيّ الكبير[١٠].

٢٨. نزهة الخاطر وسرور الناظر وتحفة الحاضر ومتاع المسافر[١١].

(١) الذريعة: ١٤/ ٥٠.
(٢) الذريعة: ١٣/ ٢٠٧.
(٣) الذريعة: ١٦/ ٨٨.
(٤) الذريعة: ١٨/ ٤١.
(٥) ذيل كشف الظنون: ٣٢.
(٦) الذريعة: ١٩/ ٥٦.
(٧) الذريعة: ٧/ ٧٢.
(٨) الذريعة: ٢٠/ ٢٣٨.
(٩) الذريعة: ٢١/ ١٣٢.
(١٠) الذريعة: ٢٢/ ٢٥٧.
(١١) الذريعة: ٢٤/ ١١٥.

شعرهُ

إنَّ شعر المترجَم لهُ وشاعريَّتهُ في غنًى عن الإطراء، فقد بلغ الذروة في جزالة اللَّفظ، ودقَّة المعنى، والإبداع في التصوير، وقوَّة الانسجام، وحسن السَّبك، وقد بكَّر في نظم الشِّعر، فهو ابن أربعة عشر عامًا، قال شعرًا جيِّدًا، وهو في العقد الثَّالث، لهُ بروز بين أدباء العصر، وفي أوائِل حياتهِ زار دار العلَّامة السَّيِّد مُحَمَّد القزوينيّ(١)، فرأى صورة زيتيَّة معلَّقة للإمام عليّ عليه السلام(٢)، فارتجل هذَين البيتَين(٣): [من الكامل]

عجبًا لكفٍّ صَورتْ من حيدرٍ
شخصِ المعاني الغرِّ في القرطاسِ
إنْ صَوَّرَته فذاتهُ وصفاتهُ
لم يدرِ ما هي غير ربِّ النَّاسِ

لهُ في رثاء الإمام الحسين عليه السلام، ومنها قوله(٤): [من الكامل]

لا غرو إن ظهر الغرام زفيرا
وأفضت بحر مدامعي المسجورا

(١) السَّيِّد مُحَمَّد القزوينيّ: هو مُحَمَّد بن مهدي بن حسن بن أحمد القزوينيّ، وُلِدَ في الحلَّة/ محلَّة الطاق سنة ١٢٦٢هـ، ونشأ بها على والدهِ، ثمَّ هاجر إلى النَّجف لإكمال دراسته، حتَّى صار عالمًا فقيهًا شاعرًا أديبًا فاضلًا، وبعدها عاد إلى مسقط رأسه؛ ليتسلَّم زمام الأمور الدِّينيَّة في الحِلَّة. توفِّي في الحِلَّة سنة ١٣٣٥هـ. تنظر ترجمته في: البابليَّات: ٤/ ٥-٢٧، شعراء الحِلَّة: ٥/ ٢٣٨-٢٧٩، الكنى والألقاب: ٣/ ٦٣.

(٢) قصَّة هذه الصورة هي: أنَّها صورة الإمام عليّ عليه السلام، أُهديت للسيِّد مُحَمَّد القزويني من إحدى متاحف الخارج، فأُقيم لها استقبال خاصّ، وقام أحد الفنَّانين الحِلِّيِّين بنسخ الصورة ورسمها أمام الأنظار، فأخذت حناجر الشُّعراء تغرِّد على ما يحدث أمامها. دار الفاطميَّة: ١٦٥.

(٣) شعراء الغريّ: ٥/ ٢٧٣.

(٤) الطليعة: ١/ ٤٩٣-٤٩٤.

للهِ صبرك كم تغض على القذى
جفنًا وتوسع للعزاء ضميرا
هذا الكتاب وقد عنيت بحفظه
يشكو لك التبديل والتغييرا
لعبت به أيدي النفاق فمزّقت
منه سطورًا فيكم وشطورا
والشرع أصبح ذاويًا نوّاده
بهشيم روضته وكان نضيرا
كم آثم فتياه هدّت ركنه
ولكم تشكَّى الدست منه كفورا
وبنو أبيك الغرّ كدرَّ صفوهم
جارى القضاء بصرفه تكديرا
أضحوا وقد سلَّ الشقاء عليهم
عضبًا صقيل الشفرتَين شهيرا
ما بين مسموم تقيَّأ قلبه
ومعفَّر بدمائه تعفيرا
ومكابد للذلِّ جدَّ به الأسى
ومصفّد بالقيد بات أسيرا
ومشرَّد ضاقت به سعة الفضا
يغدو ويصدر خائفًا مذعورا
هذي هي النوب الَّتي لم تحتمل
منها جميع الأنبياء يسيرا

وفاته

ذكر الشَّـيخ الطهرانيّ بعد هجرتـه إلى البحرين، زار النَّجف بعد ذلِكَ أَكثر مِن مرَّة وجددنـا بهِ العهد، وكانت آخر زياراتهُ في سـنة ١٣٧٠هـ، فقـد بقي فيها مدَّةً وتكررت لقاءاتنا في بيتهِ وبيتنا وعاد مشـغولًا بعملهِ، وكلهُ شوق إِلى النَّجف الأَشرف ومعاهدها وإخوانهِ وزملائِهِ حتَّى انتقل إِلى رحمة الله في المنامة بالبحرين يوم الأَحد ١٢ شعبان سنة ١٣٧٥هـ. ودُفِن فيها بِكُلِّ إجلالٍ وتعظيم.

وقد تلقت الهيئات العلميَّة والأدبيَّة والاجتماعيَّة في النَّجف نبأ وفاته ببالغ الأَسـف والحـزن وأَكبرت الخسـارة بفقده وأُقيمت الفواتح وأبّنه العُلماء والشُّـعراء، وأقامت لهُ (جمعيَّة منتدى النشر) حفلًا أَربعينيًّا وشارك أَعضاؤها وغيرهم في تعداد فضائِله، وأَرخ وفاته السَّيِّد مُحَمَّد حسن آل الطالقانيّ بقولهِ[1]: [المجتث]

فـــيـــا غـــريـــب ديـــار

أرخـــت (أبـــكـــي الـــغـــشـــيـــا)

٣٣ + ١٣٤٢ = ١٣٧٥هـ

منهج التحقيق

كان عملنا في تحقيق هذا الكتاب على النَّحو الآتي:

١. جمعنا حلقات هذا البحث المنشـور في مجلَّة الاعتدال النَّجفيَّة مِن سنة ١٩٣٥م إلى سنة ١٩٣٦م، الَّتي بلغت ستّ حلقات.

٢. تخريج الآيات القرآنيَّة.

(١) يُنظر: طبقات أعلام الشيعة: ١٥/ ١٠٧١.

٣. تخريج الأحاديث النبويَّة.

٤. ترجمنا للأَعلام الوارد ذِكرهم، وإِحالة القارئ إلى مصادر الترجمة الأَصليَّة.

٥. كتبنا المتن طبقًا لقواعد الإملاء الحديثة.

٦. صحَّحنا الأَخطاء المطبعيَّة مِن دون الإِشارة إِليها.

٧. وضعنا البحر الشِّعريّ فوق كُلِّ مقطع أَو بيت شعريّ، وكذلِك تخريجها مِن أُصولها.

٨. أَضفنا حروفًا أو كلمات اقتضاها السياق، ووضعناها بين معقوفَتَين [ ].

٩. أَبقينا الهوامش الأَصليَّة على حالها، ووضعنا في نهاية كُلِّ هامش هذهِ العلامة: (م)؛ لتميزها عن هوامشنا وتعليقاتنا، وخرَّجناها من مصادرها الأم.

١٠. تقطيع النَّصِّ.

الشُّعُوبيَّة
في القرن الثَّاني والثَّالث الهجريّ

تأليف
آية الله العظمى العَلَّامَة الشَّيْخ عبد الحسين الحِلِّيّ

[المُقَدِّمة

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين وَالصَّلاة والسَّلام عَلَى أَشرفِ خَلقِ اللهُ النَّبيِّ الأُمِّيِّ مُحَمَّد بن عَبدِ اللهُ وَعَلَى آلهُ الطَّيبينَ الطَّاهرينَ، وَصَحبهِ المُنتجبينَ.

أمَّا بعد]

[فـ]تمتاز العرب عن سائِر الأُمم بالاحتفاظِ بأَنساب قبائِلهَا، وضبطهُ مُتسلسلًا إِلَى الأَب الأَعلى للقبيلة، حَتَّى إِنَّهُ ربما يلتقي الرجلَّان مِن قبيلةٍ واحدةٍ، فينتسبان، فَلَا يبرحَان أَوْ يتفقَا عَلَى جدٍّ ولدهمَا معًا، وَهَذِهِ الميزة لم تبقَ اليوم إِلَّا فِي سُكَّان البوادي، وَخَاصَّةً (البدو) مِنْهُمْ، وهي آخذة فِيهم بالضؤولةِ والإهمالِ مُنذ قرون لليومَ الَّذِي يقفون فيهِ وَسُكَّان المدر[1] عَلَى مُستوى واحد، أَمَّا الفخر بالأَنساب والأَحساب[2]،

(١) سكان المدر: هُم سكَّان البيوت المبنيَّة، خلاف أهل الوبر، سكان الخِيام.

(٢) الفخر في النسب من الأمور الَّتي كانت سائدة في زمن الجاهليَّة، وهو من الأمور المعيبة في الإسلام، وقد ورد في الحديث عن النبيّ ﷺ: «أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ لا يَتْرُكُونَهُنَّ: الْفَخْرُ فِي الأَحْسَابِ، وَالطَّعْنُ فِي الأَنْسَابِ، وَالاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ، وَالنِّيَاحَةُ». يُنظر: صحيح مسلم=

والأَخلاق[١] والغرائز[٢]، وحَتَّى بالملكاتِ المكتسبةِ[٣]، فَلَمْ يتركهُ أَحد مِنَ العرب لليوم، وناهيكَ [عن] مُرتجزاتِهَا الحماسيَّة في الحروب[٤]، وأناشيدهَا الحادَّة الَّتِي تلتهبُ فخرًا وجبريَّةً، وخطبتها[٥] المأثورة عنها في المحافِل والمجامِع الَّتِي تتمدح فِيهَا بالاختصاص بالفصاحة والعفَّة والنجدة والإباءِ وسمُّو الأَعراقِ، حتَّى إِنَّ قريشًا كَانَتْ تفتتح خِطبتهَا[٦] بِحمد الله الَّذِيَ جعلهَا مِن ذريَّة إِبراهيم عليه السلام، ونسل إِسماعيل عليه السلام، وَبَأَنَّهَا سَدَنة بيتهِ الحرام، وحتَّى إِنَّ الزبرقان بن بدر[٧] لمَّا قطن مكَّة نازحًا عن العراق مسقط رأسهِ، كَانَ يَقُول لقريش عندمَا رامَ مفاخرتهم: «نحُّوا كعبتكم عنِّي وافخروا بما شئتم»[٨]، فيأبون عَلَيْهِ إِلَّا ضمّ ذَلِكَ المفخر إِلَى مآثِرهُم، وَلكن كَان ذَلِكَ البذخُ فِي الفخر العربيّ

=٢/ ٦٤٤/ ح٩٣٤، ذكرى الشيعة ٢/ ٥٦.

(١) الأخلاق من مراتب الكمال الإنسان العالية الَّتِي نالها بدرجاتها العالية النبيّ صلى الله عليه وآله، وآل البيت عليهم السلام، وهو القائل صلى الله عليه وآله: «**إِنَّما بُعثت لأُتمِّم مكارم الأخلاق**». مستدرك الوسائل: ١١/ ١٨٧، الباب ٦، الحديث ٢.

(٢) الغرائز: تنوَّعت الغرائز في طبيعة الإنسان، فقد قسَّم عُلماء النَّفس الغرائز إلى سبع عشرة غريزة، منها: غريزة الهروب، العراك، غريزة المقاتلة، حبّ الاستطلاع، الخضوع والاستكانة، الجنس، حبّ السيطرة، الحلُّ والتركيب، وغيرها من الغرائز. الإنسان ابن بيئته يتأثَّر بمن حوله فتتكوَّن طبيعة الغرائِز المحبَّبة لديه، وقد سبق القرآن الكريم بالإشارة إلى ذلك في كثير مِن آياته.

(٣) الملكات المكتسبة: يعني بها حالة مستمرَّة وبطيئة راسخة في نفس الإنسان، وتنبني على أفعال مكرَّرة إلى أن تتحوَّل الملكة إلى عادة وخلق وصناعة.

(٤) الأراجيز الحماسيَّة: هي شعرٌ يُقال في الحروب بصورةٍ أرتجاليَّة وحماسيَّة؛ لبيان قوَّة قائِلهَا، وسمِّيت بالأراجيز؛ لأَنَّها تُنظم على وزن الرَّجَز.

(٥) في الأصل (خطبها)، والصواب ما أثبتناه.

(٦) في الأصل (خطبها)، والصواب ما أثبتناه.

(٧) أو هو حذيفة بن بدر، والترديد منِّي لبُعد عهدي بمراجعته في تأريخ ابن الأثير عند ذِكر أيَّام العرب (م)، والصواب هو حذيفة بن بدر كما ذكره ابن الأثير في الكامل: ١/ ٥٦٨.

(٨) في الكامل: قال قيس: «نحُّوا كعبتكم عنَّا وحَرَمكم، وهاتوا ما شئتم». الكامل: ١/ ٥٦٨.

مَقصورًا فِي حبطة تفاخر داخليّ لا يتجاوز العرب إِلَى غيرهم مِنَ الأُمم، فالطائِيّ يفضِّل طائيًّا عَلَى غَيْرِهُم، والتَّميميّ تميمًا، وَهَكَذا، وَربَّما اتَّسعت دائِرةُ المفاخرة، ففاضلوا بَيْنَ القيسيَّة[1]، والنزاريَّة[2]، والجميع مِن معد بنَ عَدنان[3]، وَهَذا الأخير؛ لما وقعَ فِي أُخريَات العهد الأمويّ.

وَفِي الدَّور العبَّاسيّ، اجتنى الثوَّار عَلَى الدولتَين مِنْهُ ثمارًا غرسها الانشقاق الطائفيّ بَيْنَ القبائِل، الَّتِي هي الجند الحامي لسياج الدولة يومئذٍ، وَلَذا كَانَ معاوية بن أَبي سفيان[4]؛ لفضل دهائِهِ، يحترم القيسيَّة ويكرمهُم، وَهُوَ مِن نزار، وهكذا وَقَعَ ذَلِكَ بَيْنَ اليمانيَّة[5] والمضريَّة، بدعوةٍ خَاصَّةٍ مِن زُعَماء الثوَّار، فنظموا فيهِ مِن الشِّعر الفخريّ الحماسيّ[6] مَا سَهَّل لهم القيام ضدَّ الخلافة العَامَّة بالانشقاق بَيْنَ الشَّعبَين العَظِيمَين الَّلذَين تتفرَّع عنْهما جميع قبائِل العرب.

أَمَّا المُفاضلة بين العرب والفُرس، فَلَمْ تكُن لتدور ببالِ أَحدٍ مِنَ الفُرس، فضلًا عن

(١) القيسيَّة: بطون قيس عيلان، وفيهم تميم. (م).

(٢) قبائل ربيعة، ومنهم بكر بن وائل. (م).

(٣) معد بن عدنان: من ذريَّة إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، وهما من ولد سام بن نوح، من ذريَّة نبيِّ الله آدم عليه السلام. معجم ما استعجم: ١/ ٥٥.

(٤) مُعاوية بن أَبي سُفيان: هو صخر بن حَرْب بن أُميَّة بن عَبْد شمس بن عَبْد مَناف بن قَصي بن كِلاب، يكنَّى أبا عَبْد الرَّحمَن. وُلِدَ قبل البعثة بخمس سنين، وقيل بسبع، وقيل بثلاث عشرة. لهُ من الإخوة: يزيد بن أبي سفيان، وعتبة بن أبي سفيان، وعنبسة بن أبي سفيان، ومن الأخوات: أمُّ حبيبة بنت أبي سفيان، وأمُّ الحكم بنت أبي سفيان، وعزَّة بنت أبي سفيان، وأميمة بنت أبي سفيان. تزوَّج العديد من النساء. تُوُفِّي سنة ٦٠هـ. تولَّى ولاية الأردن في الشام في عهد عمر بن الخطَّاب. تنظر ترجمته في: تاريخ بغداد: ١/ ٢٢١-٢٢٤، الإصابة: ٦/ ١٢٠.

(٥) اليمانيَّة: قبائل سبأ، ومنها كهلان وحِمْيَر. (م).

(٦) ومنه القصيدة اليمانيَّة الفذَّة للأسديّ «ألا حُيِّيت عنَّا يا مَدْيَنا»، وهي مباراة ومردودة. (م). ديوان الكميت: ٤٢٧.

العرب، طيلة القرن الأوَّل الهجريّ كُلّه، كما أَنَّ الفُرس يومئذ لَمْ يكُونوا يعرفون أنفسهم، إلَّا أَنَّهم أُسراء ومملوكون للعرب، وأنَّ بلدانهم قَدْ حازهَا وامتلكها العرب، يجبون فيئهَا، ويتمتَّعون بغنائِمهَا، وَأَنَّهُم لَا مَال لَهَم وَلَا خول وَلَا ذريَّة إلَّا وهي فِي قبضةِ العرب، بلَا أَن يكُون لهم رُكن يدعم المتحطِّم مِن عزِّهِم السائِد، سيَّما وَقَدْ جَدَّ الشَّرع الأقدس الإسلاميّ، وَهُوَ فِي إبان شَبابهِ، بقطع جهيزة كُلِّ فخرٍ ومفاضلةٍ بقولِ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[1].

[مخالفة الشَّرع للفكر الشعوبيّ]

إن الشَّرع الأَقدس قَدْ قتل فكرة كُلِّ شعوبيّ، بتلك الكلمة الذهبيَّة الزاهيَّة الفذَّة، وجلا الرسول الأَعظم[صلى الله عليه وآله] عن هَذَا الموت الروحيّ لفكرة الشُّعُوبيَّة بَيْنَ المُسلمين، رافعًا أغشيَّة التأويل عنْهُ، بقُولِهِ: «**لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ إِلَّا بِالتَّقْوَى**»[2]، إلَى مثل هَذَا وَأشدّ وَأبين مِنْهُ مِن كلماتِهِ الحاثَّة عَلَى مذهب التسويَّة[3]، وقانونهَا العَادل، وَقَدْ صحَّ عنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «**المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ**[4]، **المسلمون تتكافأ دماؤهم**[5]، **المسلم مِن المسلم**

(١) سورة الحجرات: الآية ١٣.

(٢) بحار الأنوار: ٢٢/ ٣٤٨/ ح٦٤.

(٣) مذهب التسوية: هذا المذهب الَّذي أَسَّسهُ النبيّ صلى الله عليه وآله كقاعدةٍ مهمَّةٍ لحلِّ مشاكل عديدة، التي لها الأثر على الوجه الدِّينيّ والاجتماعيّ والاقتصاديّ بالدرجة الأساس. الَّذِي بيَّن للنَّاس كافَّة أنَّهم مُتساوون في جميع الحقوق والواجبات، وبالالتزام بأداء الواجب. هذا الَّذِي أحدث تغيُّرًا مُهمًّا في نظرة سُكَّان مكَّة والمدنية إلى الدِّين الذي جاء به صلى الله عليه وآله من قيم الإنسانيَّة التي تحمل كُلَّ صفات النُّبل والكمال، الَّتِي دعت إلى الرَّحمة والرأفة بالإنسان. وقد اشار القرآن الكريم إلى ذلك بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ سورة الحجرات: الآية ١٣.

(٤) الكافي: ٤/ ٥٠.

(٥) سنن أبي داوود: ٤/ ١٨٠/ ٤٥٣٠.

كالبنيان يشدُّ بعضهُ بعضًا»[1]، وصحَّ عنْهُ أَنَّهُ زوَّج ابنة عمَّتِهِ مِن مولاه[2]، وَأَنَّهُ أَمر أَن يزوِّج فقير دميم مِن مهاجرة السودان بالذَّلفاء بنت زياد بن لبيد[3]، وَهُوَ أشرف بني بياضة[4]، كُلُّ ذَلِكَ إذهابًا لنخوة جاهليَّة العرب، وتفاخرهَا بِأخلاقِهَا، وَبِعَشائِرهَا، وَباسق أنسابها، وَلِذَلِكَ كَانَ يُكرِّر عَلَى ملأ المُسلمين: «**النَّاس كلُّهم لآدم، وآدم مِن طين، وَلَا فضل بغير التَّقوى**»[5].

أَمَّا الغرائِز المُودعة فِي الإنسان، فهيهات أن تسيطر عَلَيْهَا دعوة روحانيَّة، فتجتثّهَا مِن طباع الكافَّة، أَوْ تَبقى ضئِيلة واهنة حَتَّى لَا يعود لهَا تأثير شائِن، بَلْ هي لا تزال مُتمرِّدة وعاتية، مهما هيمن عَلَيْهَا الشَّرع، ووقفت لهَا قوانينهُ العادلة بالمرصاد، وَمَا تِلكَ القوانين المضادَّة لمرتكزات النُّفُوس، سيَّما فِي بدء الدعوة، إِلَّا كالقوانين المدنيَّة[6]، يهتكها النوع متسترًا، ويخرقها متواريًّا مَا أمكنهُ إِذَا لَمْ يكُنْ لَهُ مِن نفسهِ وازع، وَلَوْلَا خشيَّة القانون الجزائيّ الجائِر بزعمهِ مَا أذعن لهَا ولا ساعة، أَمام شهواتِهِ ودواعي نفسهِ.

(١) في سنن الترمذيّ: ٣/ ٢١٨ «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدُّ بعضه بعضًا**».

(٢) المولى هو زيد بن حارثة، وزوجتهُ زينب بنت جحش، وأمُّها أُمامة بنت عبد المطَّلب. (م). ينظر: مسالك الافهام إلى آيات الأحكام: ٣/ ٣٣٥.

(٣) زياد بن لبيد بن ثعلبة بن سنان بن عامر بن عدي بن أميَّة بن بياضة بن عامر بن زريق بن عبد حارثة بن مالك بن ضبّ بن جشم بن الخزرج بن ثعلبة الأنصاريّ الخزرجيّ البياضيّ، يكنَّى أبا عبد الله أو أبا عبد الرحمن. توفِّي سنة ٤١هـ. تنظر ترجمتهُ في: الطبقات الكبرىّ: ٣/ ٥٩٨، أُسد الغابة: ٢/ ٢١٧.

(٤) بنو بياضة من الخزرج، وهم طائفة من اليمانيَّة من الأزد، تزوَّج بالذَّلفاء منهم (جويبر)، وهو مِنْ فقراء أهل الصِّفة، بأمر رسول الله ﷺ. (م). الكافي: ٥/ ٣٤٠.

(٥) في البحار: ٣١/ ٣٥ جاء: «**كلُّكم لآدم، وآدم من تراب، أكرمكم عند الله أتقاكم، وليس لعربيٍّ على عجميٍّ فضل إلَّا بالتقوى**».

(٦) قوانين المدينة، أو ما يعرف بدستور المدينة: إنَّ من أعظم الإجراءات الإداريَّة التي قام بها الرسول ﷺ بعد هجرته إلى المدينة، القيام بكتابة دستور المدينة الَّذي ينظِّم العلاقات بين سكَّانها.

قَدْ زعم عمر بن الخطَّاب[١] أَنَّهُ يستطيع أن لاَ تقع بذرة شعوبيَّة في جزيرة العرب، حينما كَان يكتب لأَمراء الجيوش أن لا يجلبوا إِلَى المدينة مِن العلوج مُحتلما[٢]، فما تمَّ لَهُ شيء حَتَّى اغتالهُ أبو لؤلؤة[٣] غُلام المُغيرة بن شعبة، وَقَدْ أَبى لآخرِ مسافات الآباء أن يستخدم فِي الديوان المصريّ نصرانيًّا يُحسِن مسكَ الدفاتِر، وَكَان آخر مَا كتب بِهِ لعامل مصر «مات النصرانيُّ والسَّلام»[٤].

[ابتداء الشعوبيَّة في الإسلام]

ابتدأت الشُّعُوبيَّة في الإسلام، عندما كثر الفُرس وشربوا مزايا العرب، وصاهروهُم، واشتركوا معهُم في الدعوة وفي الشدَّة، ونبغ فيهم شعراء وأُدباء، إِن لَمْ يتفوَّقوا أدبيًّا عَلَى كثير مِنَ العرب، لَمْ يقصروا عنْهُم، هذا عدا عمَّا استلموه مِن أزمَّة

(١) كان يعدُّ دهاة العرب في الصدر الأوَّل، أربعة، ولا يعدُّ عمر منهم؛ لإجلال مقام الخلافة، وإلَّا فهو من نباهته كالذي ينظر إلى الأمور من وراء ستار. (م).

(٢) أنساب الأشراف: ١٠/ ٤٢٦، والعلوج: هو الرجل الغليظ من كفَّار العجم.

(٣) أبو لؤلؤة: فارسيّ من أهل نهاوند، أسرته الروم ثمَّ العرب، بعثَ به المغيرة إلى المدينة؛ لأَنَّهُ كان صنيعًا، ولمَّا قدِم سبي نهاوند إلى المدينة سنة ٢١[هـ]، كان أبو لؤلؤة لا يلقى صغيرًا منهم إلَّا مسح رأسه وهو يبكي، ويقول: أكل عمر كبدي، والأرجح أَنَّهُ لذلك قتله تغيضًا عليه لا لشعوبيَّته، ويُعلَم من قول عمر: «الحمد لله الَّذي لم يجعل منيَّتي عَلَى يد رجل يدَّعي الإسلام» أنَّ أبا لؤلؤة قتله لكفره، وليس ذلك من الطوائفيَّة. (م). تُنظر ترجمته في: الخرائج والجرائح: ١/ ٢١٢، البداية والنهاية: ٧/ ١٢٧.

(٤) استكتب أبو موسى الأشعريّ نصرانيًّا، فكتب إِليه عمر: اعزله واستعمل بدله حنيفيًّا، فكتب له أبو موسى إِنَّ من غنائه وخيره وخبرته كيت وكيت. فكتب لهُ عمر: ليس لنا أن نأتمنهم وقد خوَّنهم الله، ولا أن نرِّفعهم وقد وضَّعهم الله، ولا أن نستنصحهم في الدين وقد وترهم الإسلام، ولا أن نعزَّهم وقد أمرنا بأن يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون. فكتب أبو موسى: إِنَّ البلد لا يصلح إِلَّا به. فكتب إليه عمر: «مات النصرانيُّ. والسَّلام». شرح نهج البلاغة: ١٢/ ٧.

الصناعـة والتجـارة، وقاموا بهِ مِن الأَعـمال الناقصة للعرب، وفي الحقيقـة كَانْتَ فكرة الشُّـعُوبيَّة بصورتها الأَدبيَّة الخالصة، شـبه انفجار بركانيّ مِن أفئدة الفُرس، الَّذِيَن كانوا يقتنعون بالكفِّ عنْهُ مِن دون أَن يتعرَّضوا لفضلٍ لهم عَلَى أَحد مِنَ البشر، لو كَانَ العرب قَدْ قلَّلوا مِن غلوائِهم في الفخر والاسـتطالة عليهم مِن جميـع المناحي، ولكنَّهم بدل أَن يغنموا إخـلاص الفُرس الَّذِيَن ظلُّوا مدافعين عن شرفِهـم، ومكابدين هوانًا واحتقارًا همـا بالضدِّ مِن الفخفخـةِ الَّتِي طبعوا عَلَيْهَا، حملوهم عَلَى أكتافهـم الموقَّرة بالفخر الجمِّ بأفانينهِ.

ها هي تتمثَّل للعيون صورةً واحدةً مِنَ الفارسـيَّة المدافعة المطالِبة بالنصفِ، وتركُ الاسـتطالة والتطرُّف في المفاضلة مِن شـعر الصفديّ[1] المزعوم بشـعوبيَّتِهِ[2]، إذ يقُول: [من الطويل]

أَبـا الـصُّـغْـدِ بَـأْسٌ إِذ تُـعَـيِّـرُني جُمْـلُ
سَـفـاهًـا وَمِـنْ أَخـلاقِ جارَتِـي الجَـهْـلُ
فـإِنْ تَـفْـخَـرِي يـا جـمْـلُ، أَو تَـتَـجَـمَّـلي
فـلا فَـخْـرَ إِلَّا فَـوْقَـهُ الـدِّيـنُ والـعَـقْـلُ[3]

(١) الصفـديّ: هو صلاح الدِّين أبو الصَّفاء خليل بن أيبك بن عبـد الله الألبَكِيّ الفاريّ الصَّفديّ الدِّمشـقيّ الشَّـافعيّ. وُلِدَ عام ٦٩٦هـ في صفـد، لواحدٍ من أمراء المماليك، ونشـأ في أُسرة ثريَّة نشـأةً مرفَّهـة، فحفظ القرآن العزيز في صغـره، ثُمَّ طلب العلم، وبـرع في النَّحو واللُّغة والأدب والإنشـاء، وكتب الخطَّ المنسـوب، وقرأ الحديث وكتبه. واهتمَّ بصناعة الرَّسـم على القماش، ثُمَّ حُبِّـب إليـه الأدب؛ فولِعَ به، لهُ العديد من المؤلَّفات، توفِّي سـنة ٧٦٤هـ بدمشـق في ليلة الأحد عاشر شوَّال. تنظر ترجمته في: أعيان العصر وأعوان النصر: ١/ ٣٨، المعجم المختصُّ بالمحدثين: ٩١.

(٢) في الأصل: (شعوبيَّة)، والصواب ما أثبتناه.

(٣) جمل: اسم عربيّ من أسماء النساء؛ لعلَّها جميلة كما يقال: بثن في بثينة. (م).

أَرَى النَّاس شَرْعًا في الحَيَاةِ ولا أرى
لِقَبْرٍ على قبْرٍ عَلاءٌ ولا فَضْلُ[1]
وما ضرَّني أَنْ لَمْ تَلِدْنى يُحَابِرٌ
وَلَمْ تَشْتَمِلْ جَرْمٌ عَليَّ وَلَا عُكْلُ
إِذَا أنت لَمْ تَحمِ القديمَ بِحَادِثٍ
مِنَ المجدِ لَمْ يَنْفَعْكَ مَا كَان مِنْ قَبْلُ[2]

إن هذا الرجل، وهو مِن أبناء كسرى بن هرمز[3]، كما رأى أنَّ العرب[4] تعيِّره بالصفديَّة[5] نسبًا ووالدًا، نفى أنْ يكُون بها رأس عليْهِ؛ لأنَّ الإنسان بنفسهِ لا بموطنهِ ولا بأبَويه؛ فإنَّهُ لا محالة يعيش عَلَى شيء مِن وجه الأرض، في الصَّفد أو في جزيرة العرب، كما أنَّهُ لا بُدَّ [من] أن يتولَّد بين إنسانَين ولادة طيِّبة، ولا عليْهِ أن يشتمل عليْهِ جرميان أو صفديان، إذا كان كاملًا ومتمسكًا بالدِّين والعقل، ولا نقص يلحقه مِن عدم انتمائهِ لإحدى القبائِل العربيَّة الَّتِي مَا حكم العقل ولا الدِّين بفضلها على غيرها مِن القبائِل.

(١) الذي رأيته هكذا، ولعلَّ الصواب: ولم يكن بدل ولا أرى. (م).
(٢) الشعر والشعراء: ٢/ ٨٤٦.
(٣) يعلم ذلكَ مِن قولِهِ (م): [من الطويل]

ونادَيْتُ من مَرْوٍ وَبَلْخٍ فوارسًا ... لهم حَسَبٌ فِي الأكرمين حسيبُ
فيا حسرتا ! لا دارُ قومي قريبةٌ ... فيكثرُ منهم ناصري ويُطيبُ
وإنّ أبي ساسانُ كسرى بن هُرْمز، ... وخاقانُ لي، لو تعَلمينَ، نسيبُ

معجم البلدان: ٤/ ٣٠٠.
(٤) الاعتدال، الحلقة الأولى، السنة الثالثة، العدد الخامس، ١٩٣٥م: ٢٨١-٢٨٤.
(٥) صفد: بالتحريك، والصفد: العطاء: وكذلك الوثاق، وصفد: مدينة في جبال عاملة المطلَّة على حمص بالشام، وهي من جبال لبنا. ينظر: معجم البلدان: ٣/ ٤١٢.

إنَّ هذا هُوَ الشَّـاعِر [الَّذي] لم يذم طوائِف العرب، وإنَّما نفى أن يلحقهُ نقصٌ لعدم كونـهِ مِنْهُـم، وَقَدْ ندَّد بهم لا مِـن ذمٍّ لهم في عائِبة، بل، لأنَّهـم لم يحتفظوا بقديم مجدهم، فكأنَّهُ يعرف المجد لسـابقهم، لكنَّهُ يطعن على لاحقهم بأنَّهُ لَمْ يحمِ سـابقه ببناء مجدٍ مثله، وَمِن الخطأ الفاحش أَن يُعدَّ هذا المدافع عن نفسـهِ مِن الشُّـعُوبيَّة، كيف وهو يندِّد بِكُلِّ مفاصلـه، ويحكـم فيها الدِّين والعقل، ويرى النَّاس في الحياة سـواء، كـما أنَّهم إذا ماتوا كانوا في القبور سـواء، ولا فخر لأحد بعظامهم الرميمـة، إلَّا أن يتطرَّف أحد بعد أهل (مذهب التسـويَّة) مِنَ الشُّعُوبيَّة، لكنِّي أعتقد أنَّ هذا التارف نفسه مِن شعوبيَّة العرب، يفور في قلبهِ الدَّم العربيُّ الحرُّ، فيتحامل على ما شاء بلا أَن يرجع إِلى تأريخ الشُّعُوبيَّة، وَلَمْ يحط إلَّا بالنزر مِن أقاصيصهم.

ولقد رأيت مِنَ الكُتَّاب مَن يَعدُّ الفُرس الأَقدمين المناوئين للإِسـلام مِن الشُّعُوبيَّة، وكأنَّـهُ لا يحصر الشُّـعُوبيَّة في المفاضلةِ بين عنصرَيـن؛ مع أنَّهُ لو تنبَّه لعَلِـم أَنَّ المناوئين للإِسلام مناوؤن لهُ وإن كان القائِم بدعوتهِ غير العرب.

إنَّ أَقدم عصور تلك الفكرة الخبيثة، فكرة الشُّعُوبيَّة، يبتدئ بزمن إسماعيل بن يسار النِّسـائِيّ[1]، مولى تيم، المُتوفَّى سنة ١١٠ [هـ]، وكان فارسيًّا مِن شُعراء الدولة الأَمويَّة، ومِمَّا يُنسَب إِليه قولهِ[2]: [من الخفيف]

إنَّـــما سـمِّـي الـــفـــوارس بـالـفـر
س مـضـاهـاة رفـعـةِ الأنـسـابِ

(١) إسـماعيل بن يسـار النِّسـائِيّ: شـاعر، أصله من سـبي فارس، اشتهر بشعوبيَّته وشـدَّة تعصُّبه للعجـم، يفتخر بهم في شـعره على العـرب. كنيته أبو فايد. وكان من مـوالي بني تيم بن مرَّة (تيم قريـش)، وانقطـع إلى آل الزبير. توفِّي نحو ١٣٠هـ. تُنظر ترجمته في: الأغـاني: ٣/ ٣٥١، تاريخ مدينة دمشق: ٢٧/ ٩٥.

(٢) الأغاني: ١/ ٣٥١.

فـاتـركـي الـفـخـر يـا أمـيـم عـلـينـا
واتـركـي الجـور وانـطـقـي بـالـصَّـوابِ
واســألي إن جـهـلـتِ عـنَّـا وعـنـكـم
كـيـف كـنَّـا في سـالـفِ الأحـقـابِ
إذ نـربِّـي بـنـاتـنـا، وتـدسـو
ن سـفـاهًـا بـنـاتـكـم في الـتُّـرابِ

وربَّما اقتفاه غيره ممَّن عاصره أو جاء بعدهُ في العصر الأَمويّ الشَّديد الوطأة، لكنِّي على ثقة بأنَّ الشُّعُوبيَّة يومئذٍ لم تخرج عن صورتها الأدبيَّة الفارغة، بلا أن تمسَّ مذهبًا؛ أو تُحدث في السياسة انقلابًا، كما هي أدبيَّة شعوبيَّة إسماعيل هذا، ولذلك لَمْ يتأثَّر بسابق مقالهِ أحد، وَلَمْ يقابلهُ سوى أشعب[1] بقولهِ: «إنَّ العرب أَرادوا بناتهم لغير مَا أَرادهُ الفُرس، فربَّاهنَّ هؤلاءِ للعار، ودفنهنَّ أَولئك خشيَّة لقاء المعرَّة»[2].

وربَّما ظهر التعصُّب الطائفيّ لا بساحةٍ مذهبيَّةٍ؛ وَقَدْ يكُون مذهبيًّا بحتًا؛ وحقيقة هذا التنديد بالعرب مِن جهة تلاعب خلفائِهم بقوانين الدِّين، وهتكهم نواميسه المحترمة، ولا يرجع بوجهٍ إلى المفاضلة بين عنصرَين ليكُون مِنَ الشُّعُوبيَّة، وهذا لما وقع في القرن الثَّاني لَمْ يذهب وادعًا بسلام، بَلْ أَحدث انقلابًا سياسيًّا كان زعيمهُ أَبو مُسلم[3] الباهليّ[4].

(١) أشعب: أشعب هو الطمَّاع المتحامق المعلوم. (م).
(٢) ورد هذا القول بلفظٍ آخر في كتاب في وافي الوفيات: ٩/ ١٤٤ «يا أبا فائد، أراد القوم بناتهم لغير ما أردتموهنَّ لهُ. قال: وما ذاك؟ قال: دفن القوم بناتهم خوفًا مِن العار، وربيتموهنَّ لتنكحوهنَّ».
(٣) أبو مسلم: هو عبد الرحمن بن مُسلم الباهليّ الخراسانيّ، مؤسِّس الدولة العبَّاسيَّة، قتله أبو جعفر المنصور العبَّاسيّ في شعبان المعظَّم سنة ١٣٧ هـ. (م). تُنظر ترجمته في: تاريخ بغداد: ١٠/ ٢٠٧، سير أعلام النبلاء: ٥/ ٣٣١-٣٤٦.
(٤) تكملة الحلقة الأولى: ٣١٧-٣١٨.

لَمْ يظهر للطوائِفيَّة الحقيقيَّة قبل نهضة أَبي مُسلم أَثر يُذكر غير تلكَ الصورة الأَدبيَّة الَّتِي تبدو شاذَّة مِن مثل إسماعيل بن يسار[1]؛ لأَنَّ الدور الأَمويّ بطبيعة وقته، وكذا دور الخلفاء الراشدين، لَمْ يضطر إِلَى اختلاط غير العرب بهم، ولا استخدام فرد أَو جماعة مِن نبهائِهم في الجنديَّة، ولا في شيء مِنَ الوظائِف الإِداريَّة، حتَّى ولا في كتابة دواوين غير العرب؛ لأَنَّها نُقلت فِي أَوائِل الدولة المروانيَّة[2] إِلَى اللُّغة العربيَّة، وهذا في الحقيقة سدٌّ للطريق في وجه الفُرس أَن يُلقوا بذور الشُّعُوبيَّة بين العرب، ويدسُّوا بينهم ما يكتمونهُ في طيَّات قلوبهم مِنَ السوء والوقيعة بهم، ولعمري أنَّ هذا السدَّ ليس فقط يدفع سلطتهم عَلَى الطوائِف العربيَّة، بل يمنع مِن اختلاط وجهائِهم وأعيانهم بهم نهائيًّا، وأجلا ما كان يظهر مِن شعوبيَّتهم يومئذ في أُخريات العهد المروانيّ صورة مموَّهة بصبغةٍ مذهبيَّةٍ، تعلن المساواة بَيْنَ المُسلمين، لما أن تلك الصورة مقبولة عند البسطاء الَّذِيَن ينطلي عليهم التمويه والخداع، أمَّا السفلة والرعاع مِن الفُرس، فلا أَثر لشعوبيَّتهم في أَي زمانٍ وَبِكُلِّ صورةٍ؛ لأَنَّهُ لا جامع لهم تنتظم بهِ الدعوة فيما بينهم، بل لا ينفكُ هؤلاء إِذا ظهر مِن أَحدهم شيء مِن ذَلِكَ أن يكُون عرضةً للنكال، بلا أَن يأتي بفائِدةٍ.

وعندما اختلط الفُرس بالعرب في الدور العبَّاسيّ، ظهرت الشُّعُوبيَّة بصورتها الأَدبيَّة المحضة، فقام بشَّار بن برد الشَّاعِر الفُارسيّ البصريّ[3] الضرير المتوفَّى سنة

(١) مرَّ ذِكره.

(٢) إنَّ الدولة المروانيَّة الأموية، استمدَّت تسميتها من أصول الخلفاء الَّتي تتابعوا في حكمها، إذ ينحدرون من بني أميَّة بن عبد شمس من قبيلة قريش، وكان قد دأب الخليفة الأمويّ الأوَّل معاوية بن أبي سفيان على تأسيس هذه الدولة بعد اندلاع نزاع حول الخلافة بينه وبين الإمام عليّ ابن أبي طالب عليه السلام، وهذه الدولة هي جزء من الدولة الأمويَّة التي تتشكَّل من فرعَين، السفيانيّ، وينتهي بحكم يزيد بن معاوية، ويبدأ الفرع المروانيّ بمروان بن الحكم ٦٥ حتَّى سنة ١٣٢ هجريَّة. للمزيد ينظر: تاريخ الدولة الأمويَّة: ١٤-١٥.

(٣) بشَّار بن بُرد: بشار بن برد بن يرجوخ العُقيليّ أبو معاذ، شاعر مطبوع. عاصر نهاية الدولة=

١٦٧[هـ] يلوح بأعاريضهِ إلى[١] زمن المهدي العبَّاسيّ (١٥٨-١٦٩هـ)[٢] على تخوُّف شديد لضعف نفوذ الأَمراء مِن الفُرس، عَلَى قلَّتهم؛ ولأَنَّ الجند الفارسيّ ما كان يومئذٍ مُتغلِّبًا على أكثريَّة العرب، كما آلت الحال إليهِ في زمن المتوكِّل والمعتصم[٣]، والأَرجح أَنَّ بشَّارًا هذا مع تصلُّبهِ للفُرس، ينددِّ بالخلفاء وذوي السمعة مِن العرب، ولِذلكَ يُنسَب مرَّةً للتشيُّع، ويرمى أُخرى بما هو حريٌّ بهِ مِن الزندقة[٤]، وشتَّان بَيْنَ الرأيين، والمعروف

=الأمويَّة وبداية الدولة العبَّاسيَّة. وُلِدَ أعمى، وكان من فحولة الشُّعراء وسابقيهم المجودين. كان غزير الشِّعر، سمح القريحة، كثير الافتنان، قليل التكلُّف، ولم يكن في الشُّعراء المولدين أطبع منهُ ولا أصوب بديعًا. وُلِدَ عام ٩٦هـ، وتوفِّي سنة ١٦٧هـ إثر اتِّهامه بالزندقة. تُنظر ترجمته في: الشِّعر والشُّعراء: ٤٥٥-٤٥٧.

(١) في الأصل: (إلى ذلك)، والصواب ما أثبتناه.

(٢) أبو عبد الله مُحمَّد بن عبد الله المنصور بن مُحمَّد بن عليّ المهدي بالله: هو ثالث خلفاء الدولة العبَّاسيَّة بالعراق. وُلِدَ بإيذج من كور الأهواز عام ١٢٧هـ/ ٧٤٥م، وتوفِّي بماسبذان. أمُّه هي أمُّ موسى بنت منصور الحميريَّة. ولي الخلافة بعد وفاة أبيه أبي جعفر المنصور عام ١٥٨هـ/ ٧٧٥م. وكان أبوه قد أمَّره على طبرستان وما والاها. توفِّي الخليفة المهدي بماسبذان قرب مدينة مندلي العراقيَّة سنة ١٦٩هـ. كانت خلافته عشر سنين، وتوفِّي وهو ابن ٤٣ سنة، وصلَّى عليه ابنه الرشيد. تُنظر ترجمته في: فوات الوفيات: ٢/ ٢٥٥، دول الإسلام للذهبيّ: ١/ ٨٦، البدء والتاريخ: ٦/ ٩٥.

(٣) إنَّ زمن المعتصم قد سبق المتوكِّل، كما أنَّ في زمن المعتصم والمتوكِّل لم يكن الفرس لهم الغلبة، بل كانت الغلبة للأتراك، إذ إنَّ الفرس ضعف نفوذهم بتولِّي المعتصم، الَّذي اعتمد على الأتراك، واستغنى عن الفرس.

(٤) الزندقة: مذهب القائلين بدوام الدَّهر من أصحاب زرادشت، طائفة من الأقدمين، جحدوا الصانع المدبِّر للعالم، وزعموا أنَّ العالم لم يزل كذلك بلا صانع، ولم يزل الحيوان من نطفة، والنطفة من حيوان، كذلك كان، وكذلك يكون. ويُعتَقد أنَّها أُطلقت تاريخيًّا لأوَّل مرَّة من قِبَل المسلمين لوصف أتباع الديانات المانويَّة أو الوثنيَّة والدجَّالين ومدَّعو النبوَّة، والَّذين يعتقدون بوجود قوَّتين أزليَّتين في العالم، وهما النور والظلام، ولكنَّ المصطلح بدأ يُطلق تدريجيًّا على الملحدين وأصحاب البدع، ويطلق بعضهم على كُلِّ من يحيا ما اعتبره المسلمون حياة المجون من الشعراء والكتَّاب، واستعمل بعض تسمية زنديق لِكُلِّ من خالف مبادئ الإسلام الأساسيَّة.=

عنْـهُ أنَّـهُ لَمْ يلتزم بـشيءٍ مِن مراسـم المذهب، وَقَدْ قتل ضربًا[1] مِـن أَجل بيتَين هجا بهما المهدي العبَّاسيّ، ووزيرهُ يعقوب بن داوود العلويّ الحسنيّ[2]، وهما: [من البسيط]

بـنـي أمـيَّـة هـبُّـوا طـال نـومـكـمُ
إِنَّ الْخَـلِـيـفَـة يَـعْـقُـوبُ بـنُ دَاوُودِ
ضَـاعَـتْ خِـلاَفَـتُـكُـم يـا قَـوْم فَالتَمِسُوا
خَـلِـيـفَـة الله بَـيْنَ الـنـاي وَالْـعُـودِ[3]

وهذان البيتان يرميان بتشـيعهِ المزعوم، ليس لقذفهِ الخليفة العباسيّ؛ بل لأَسـفهِ أن يكُون العلويُّ حائِزًا حقوق الأُسرة الأَمويَّة مِن إِمارةٍ أَو وزارةٍ.

ولـمَّا اطمأنَّت الشُّعُوبيَّة بظهيرٍ لها ونـصراء مِن فارسيَّة ذوي النفوذ والسُّلطة في أَواخر القرن الثَّاني، كالبرامكة[4]، والطَّاهريِّين، وبني سـهل، وماهان، وخاقان، وأَضرابهم مِنَ

=وقال الجاحظ: «فإنَّ عامَّة من ارتاب بالإسـلام، إنَّما كان ذلك أوَّل رأي (الشـعوبيَّة)». يُنظر: المصطلحات: ١٢٨٢، الحيوان: ٧/ ٢٢٠.

(١) قال الذهبيّ: «اتُّهم بالزندقة، فضربه المهدي سبعين سوطًا ليقرَّ، فمات منها، وقيل: كان يفضِّل النار، وينتصر لإبليس». سير أعلام النبلاء: ٧/ ٢٥.

(٢) يعقوب بن داوود بن طهمان الفارسيّ الكاتب، الخاشع. كان والدهُ كاتبًا للأمير نصر بن سيَّار، متولِّي خراسـان، توفِّي سنة ١٨٢هـ. تُنظر ترجمتهُ في: سير أعلام النبلاء: ٦/ ٤٦٦-٤٦٨، البداية والنهاية: ١٠/ ١٤٧.

أمَّا ابيات بشَّار في الهجاء، فهي:

لا يـيـأسـنَّ فـقـيرٌ مـن غِـنًـى أبـدًا ... بـعـد الـذي نـال يـعـقـوب بـن داوودِ
قـد صـارَ مِـن بـعـدِ إشرافٍ عـلى تلفٍ ... وبـعـد غـلٍّ عـلى الـزنـدَيـنِ مـشـدودِ
أخًـا لـمـهـدي خـلـق الله كـلّـهـم ... يـوفي بـه فـوق أعـنـاق الـصـنـاديـدِ

ديوانه: ٢/ ١٥٥.

(٣) البيتان لبشَّـار بـن برد. صدر البيت في الديوان: «يأيُّها النَّـاسُ قد ضاعت خلافتكم». (الرِّق) بدل (الناي). ديوانه: ٣/ ٩٣-٩٤.

(٤) البرامكـة: مصطلح يُشـير إلى ما وقع للبرامكة على يد الخليفة العبَّاسـيّ هارون الرشـيد من=

القـوَّاد[١]، والـوزراء، أَخذت تظهر بارزةً بصورٍ مختلفةٍ بلا خشـيَّة، معتمـدة عَلَى ذلِكَ النفـوذ الإداريّ، وعَلَى قوَّة الجند الفارسيّ الَّـذِيَ ظلَّ - بعد أَن والت دولة بني أميَّة عَلَى يـده- ينازل العرب تارةً في العراق ضدَّ أبي السـرايا[٢]، وأُخـرى في الحجاز ضدَّ الثوَّار الطالبيِّين، ويكُون الفتح لهُ، ولذلكَ بانت الشُّـعُوبيَّة بمظهر جلا زمن الرشيد والمأمون، فقام أبو عبيدة معمَّر بن المثنَّى الفارسيّ البصريّ[٣]، إمام النَّحو واللُّغة والنوادر، المُتوفَّى

=قتـل وتشريد، ومصادرة أموال، وقـد كانوا وزراء الدولة وأصحاب الأمر والسـلطان، وتعدُّ هـذه الحادثة أحد أبرز الأحداث السياسـيَّة المؤثِّرة في حكم هارون الرشـيد، إذ إنَّها كانت حلقة في سلسـلة نكبات طالت وزراء الدولة العبَّاسـيَّة منذ قتل أبي مسلم الخراسانيّ بتدبير الخليفة أبو جعفـر المنصور، وقتل معظم المقرَّبين من الخلفاء العبَّاسـيِّين، كآل سـهل فيما بعد. تاريخ بغداد: ١٤/ ١١، تاريخ الخلفاء: ٣١٠.

(١) جمع قائِد.

(٢) أبو السرايا: هو السَّريّ بن منصور من ولد هانئ بن قبيصة بن هانئ بن مسعود الشيبانيّ. كان أبـو السرايا أوَّل أمـره يكري الحمير، وقوى حاله فقتل رجلًا من بنـي تميم بالجزيرة، وأخذ ماله فطُلِب، فاختفى وعبر الفرات إلى الجانب الشـاميّ، فـكان قاطعًا للطريق هناك، التحق بيزيد بن مزيد الشـيبانيّ بأرمينية، فقاتل معهُ جنبًا الى جنب، وهكذا صار لهُ شـأنٌ. ثمَّ نزل الأنبار فالرقَّة، وبهـا التقـى بمحمَّد بن إبراهيم بن إسـماعيل بن إبراهيم بن الحسـن بن الحسـن بـن عليّ بن أبي طالـب عليه السلام، الَّـذي ظهر بالكوفة داعيًـا لآل مُحَمَّد بابن طباطبا، فبايعه، ودخـلا الكوفة، وبذلك نشـأت ثـورة ابن طباطبا على المأمون العبَّاسيّ سـنة ١٩٩هـ، وكان أبو السرايـا قائمًا بأمر الحرب لابن طباطبا. هرب أبو السرايا من الكوفة في ١٦ المحرَّم سنة ٢٠٠هـ، وأتى القادسيَّة، ثمَّ اتَّجه إلى السُّوس بخوزستان، فقاتله الحسن بن علي المأمونيّ، فهرب أبو السرايا إلى جلولاء، فظفر به حمَّاد الكندغوش فسلَّمه إلى الحسن بن سهل بالنهروان فقتله، وبعث برأسه إلى المأمون، ونُصبت جثَّته على جسر بغداد. تُنظر ترجمته في: مقاتل الطالبيِّين: ٣٤٦، سير أعلام النبلاء: ١٠/ ٢٨٣.

(٣) معمَّر بن المثنَّى: أبو عبيدة معمَّر بن المثنَّى التيميّ بالولاء، البصريّ النحويّ، كان أبوه يهوديًّا من يهـود باجروان من بلاد فـارس، يعمل صباغًا، وقد عيَّره الأصمعيّ بذلك. درس على أبي عمرو ابن العلاء ويونس بن حبيب. اسـتقدمه هارون الرشـيد إلى بغداد سنة ١٨٨هـ، وقرأ عليه أشياء من كتبه. وكان إباضيًّا، شـعوبيًّا، من حفَّاظ الحديث. وُلِدَ عام ١١٠هـ، وتوفِّي سـنة ٢٠٩هـ، ولم يحضر جنازته أحد، لشدَّة نقده لمعاصريه.=

سنة ٢٠٩[هـ] أو سنة ٢١٠[هـ] يعلن الشُّعُوبيَّة ضدَّ الأَصمعيّ[١]، وزاد على مَن تقدَّمهُ أَنَّـهُ- عَلَى ما ذكروا- ابتـدأ بتأليف الكتب في ذلكَ مفعمـة بالأقاصيص ومُلَح الأَخبار والنوادر الَّتِي هي مِن خير أَنواع بضاعتهِ الرابحة في عصرهِ.

إنَّ المتوغِّل في تأريخ حياة الرَّجُلَين لا يجد ممَّا نُسـب إليهما مِن الشُّـعُوبيَّة أَثرًا، لكن بعـض الكتَّـاب لا يـتردَّد في أنَّ أبا عبيـدة ألَّف كتابًـا في مثالب العرب ومآثـر الفُرس؛ إيقاعًـا بالأصمعـيّ الَّذِي كان يناويه ويحسـده، وأَنَّهُ زاد فيهِ عَلَى ما جـاء في كتابَي: زياد ابـن أَبيه، والهيثم بن[٢]عدي[٣]، وإذا صحَّ هذا، فالَّذِي يدعمهُ ليس فقط حبُّ أَبي عبيدة

=تُنظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء ٩/ ٤٤٥، الأعلام: ٧/ ٢٧٢.

(١) هـو عبـد الملك بن قريب أبو سـعيد البصريّ، المتوفَّـى على أقلِّ الآراء سـنة ٢١٤[هـ]، وعلى أكثرها سنة٢١٧[هـ]. (م).

وهو عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن عليّ بن أصمع الباهليّ، كان كثير التطواف في البوادي، يقتبـس علومها، ويتلَّقى أخبارها، ويُتحف بهـا الخلفاء، فيُكافأ عليها بالعطايـا الوافرة. أخباره كثيرة جدًّا. وكان الرشيد يسمِّيه (شيطان الشِّعر). قال الأخفش: ما رأينا أحدًا أعلم بالشِّعر من الأصمعيّ، يقال حفظ عشرة آلاف أرجوزة. وُلِد عام ١٢١هـ، وتوفِّي بالبصرة، وتختلف المصادر في تعيين سـنة وفاتـه، فيذكر بعضهم أَنَّهُ توفِّي سـنة ٢٠٨هـ، وبعضهم يقـول ٢١١هـ، وآخرون ٢١٦هـ. تنظر ترجمته في: أخبار النحويِّين البصريِّين: ٤٥، الفهرسـت، ابن النديم: ٨٨، النجوم الزاهرة: ٢/ ١٩٠، نزهة الألبَّاء: ٧٤.

(٢) زياد والهيثم عربيَّان داعيان، وليسا بشعوبيَّين، وإنَّما حملَهما ضِعَة النَّسب وخسَّته عَلَىَ ثلب العرب وانتقاصهـم؛ تشـفِّيًا منهم، لما أنَّهم لا يعترفون لهما بصراحة نسـبٍ ولا نصحـة في الأدِّعاء، وما ذكرهما للعرب بالهراء مِنَ القول السَّيِّء إلَّا كذكر العلَّامة ابن خلدون مساوئ العرب في الآداب والمدنيَّـة والعوائـد وإهمال فنون مِن العلم، فـإن ذلك واقع منه بصفته مؤرِّخًا لا شـعوبيًّا. (م). تُنظر ترجمته في: تأريخ مدينة دمشق: ١٧/ ٣٧، سير أعلام النبلاء: ١١/ ١٥٤.

(٣) الهيثـم بن عدي: ابن عبد الرحمن بن زيد بن أسـيد بن جابر الأخبـاريّ العلَّامة أبو عبد الرَّحمن الطائِـيّ الكوفيّ المـؤرِّخ. كان راوية أخباريًّا، نقل من كلام العرب وعلومها وأشـعارها ولغاتها، وكان أبوه نازلًا بواسـط (العـراق)، وكان الهيثم يتعرَّض لمعرفة أصـول النَّاس ونقل أخبارهم. توفِّي بفم الصلح (العراق) في سـنة ٢٠٧هـ، ولهُ ثلاث وتسـعون سـنة. تُنظر ترجمته في: سـير=

لإرغام الأَصمعيّ الَّذِيَ أخذ عَلَى عاتقهِ التنويهِ بالعروبة، بل إِنَّ أَبا عبيدة مُعمر بن المثنَّى نفسهُ هُوَ مولى مِن يهود فارس، وكان متهتِّكًا فاسد الأَخلاق، يذهب مذهب الخوارج الحروريَّة، في تكفير أَهل القبلة بالمعصية، والحروريّ لا يبالى أَن يطعن في سائِر العرب ممَّن يخالفهُ في الاعتقاد؛ لأَنَّهُ يعتقد كفرهُ، ولكن هل تجاوزت شعوبيَّتهُ حدَّ الأَدب، كما تجاوزت شعوبيَّة الأفْشِين[1] في عهد المعتصم العبَّاسيّ؟.

إنَّ التعصُّب الطائِفيّ لا تتبرَّأ منهُ النُّفُوس مهما رقَّ الطبع واشتدَّت العاطفة؛ ولكنَّهُ إِذا انتهى إِلَى توهين العرب وتحقيرهم، أو تفضيل أمَّةً أُخرى عليهم في المآثر الحسنة الخَاصَّة بهم، كان شعوبيَّة أدبيَّة، وهي الَّتِي يخطب البُلغاء بذمِّها وسوء عواقبها.

أَمَّا إذا جرَّ إِلى مس كرامة دين العرب، [فـ]ـكان رِدَّةً لا شعوبيَّةً، والأَغلب في هؤلاء الَّذِيَن يثلبون العرب، وينتهي ذلك القذف منهُم إِلَى إِهانة الدِّين العربيّ، أَنَّهم زنادقة أَظهروا الإسلام للإيقاع فيهِ؛ ولكن السِّيرة لَمْ توقفنا لحدِّ الآن عَلَى انتهاء شعوبيَّة أَبي عبيدة إِلَى تلك الخطَّة الشائنة، وإِن أَساء جدًّا بتأسيس التأليف في الانشعاب بين المُسلمين.

=أعلام النبلاء: ١٠/ ١٠٣، الأعلام: ٨/ ١٠٤.

(١) حيدر بن كاوس المُلقب بـ(الأفْشِين): قائد عسكريّ من قادة جيش الخليفة المعتصم بالله. واشتهر بلقب الأفشين، وهو لقبٌ يُطلَق على مَن يحكم أشروسنة، وقد ورث هذا اللقب عن أبيه الذي كان آخر ملكٍ من عائلته. كان مجوسيًّا واعتنق الإسلام نِفاقًا، فقد كان يبطن الزندقة عندما رأى قوَّة المسلمين وإقبال أمر الإسلام الَّذي كان ينتشر يومًا بعد يوم في بلاد فارس وبلاد ما وراء النهر. وكان الأفشين بطلًا شجاعًا مشهورًا بذلك، فأُعجب به المعتصم وجعله من خواصِّه، فلمَّا تولَّى المعتصم بالله الخلافة، جعله من جملة قوَّاده الحربيِّين. سُجِن في ذي الحجَّة عام ٢٢٥هـ، وتوفِّي في ٣ شعبان سنة ٢٢٦هـ. تُنظر ترجمته في: تاريخ الإسلام: ١٥/ ٣٢، تاريخ ابن خلدون: ٣/ ٢٥٨.

وَالَّـذِي ارتأيه أَن تفوُّق كُلٍّ مِن الرَّجُلين الإمامَـين بصنعةِ صاحبِهِ مِن إتقان النَّحو واللُّغة، والإحاطـة بالأخبار والنوادر، مع المجاورة في البلد، والمعاصرة في الزمن الَّذِي كان بطبعهِ طافحًا بالأَدب والفكاهات، يقـضي بتزاحمهما، واجتذاب كُلٍّ منهما ما يحصلهُ الفن للآخر مِن مالٍ أَو جاهٍ؛ ولكن «زاد في الطين بلَّة»[1] كون الأَصمعيّ عربيًّا صميميًّا، وأَبي عبيـدة مـولى، وذلك ممَّا يحملهـما بطبيعة الحـال إِلَى المفاخرة والمفاضلـة في العربيَّة والفارسـيَّة أَيضًا، سـيَّما وقد وجدا مِـن العُظماء والأَمراء أَنصارًا لِـكُلٍّ مِن رأييهما، وإِذا ألَّف أَبو عبيدة- على مَا قِيل- كتابًا في (مثالب العرب ومآثر الفُرس)، فإِنِّي لا أَراهُ يشـذُّ عمَّا كان يقع بينهما مِن الحاضرات الأدبيَّة، أمام الرشيد، وفي مجلس الفضل ابن الربيع[2]، الَّذِي هو نفسهُ يفضِّل أَبا عبيدة عَلَى الأَصمعيّ، ولذلِكَ كان يقف العربيّ[3] في صفِّ أبي عبيـدة ناصرًا، ويقوم الفارسيّ[4] في صفِّ الأَصمعيّ مناضلًا، وما ثمَّة مِن تأثيرٍ مذهبيٍّ أَو سياسيّ.

إِنِّي لا أَرى مواقـف المفاضلة الطوائِفيَّة بَيْنَ الرجلَين تزيد عَلَى ما تحكيهِ السـيرة مِن

(١) مثل عربيّ شهير.

(٢) الفضل بن الربيع: هو ابن يونس، الأمير الكبير، حاجب الرشـيد، وكان أبوه حاجب المنصور. وكان مـن رجال العالم حشـمةً وسـؤددًا وحزمًا ورأيًـا. قام بخلافة الأمين، وسـاق إليه خزائن الرشيد، وسلَّم إليه البُرد والقضيب والخاتم، جاءه بذلك من طوس، وصار هو الكلُّ؛ لاشتغال الأمين باللعب، فلمَّا أدبرت دولة الأمين، اختفى الفضل مدَّة طويلة، ثمَّ ظهر إذ بويع إبراهيم بن المهدي، فسـاس نفسه، ولم يقم معه، ولذلك عفا عنه المأمون. وُلِدَ في مدينة الخليل عام ١٣٨هـ، توفِّي سـنة ٢٠٨هـ. تُنظر ترجمته في: تاريخ الطـبريّ: ٨/ ٥٩٩، الكامل: ٦/ ٣٨٦، سـير أعلام النبلاء: ١٠/ ١٠٩.

(٣) كإسحق الموصلِّيّ وأبي نواس الحكميّ، وهو عربيّ من حكمان عَلَى زِنة سلمان، موضع بالبصرة، سكن الأهواز زمنًا، ثمَّ بغداد، ولهُ في حكمان شعر كثير يؤثَر عنه. (م).

(٤) كأبي حاتم السجسـتانيّ، والقاسـم بن سـلَّام الهرويّ، وهما فارسـيَّان، ومن تلامذة أبي عبيدة أيضًا. (م).

أَن إسحاق الموصلِّيّ العربيّ[١]، قام يخاطب الفضل بن الربيع[٢] بقولهِ[٣]: [من الوافر]

عليك أبا عبيدة فاصطنعه
فإنَّ العلم عند أبي عبيده
وقدمه وآثره عليه
ودع عنك الغريد بن الغريده

يعنى بذلِكَ الأَصمعيّ الَّذِيَ كان الفضل وغيرهُ يفضِّلون أَبا عبيدة عليهِ أَمام الرشيد، وكان آخر سهم رموهُ بهِ قولهم: «الأصمعيّ بلبلٌ ذو نغمة[٤]، والعالم هو أبو عبيدة[٥]»، وكان يسوء أبا عبيدة أن يجاهر الأَصمعيّ بذمِّ البرامكة وهجوهم؛ لما أَنَّهم مِن مجوس الفُرس، وَقَدْ دالت دولتهم بعد غضب الرشيد عليهم، وذلِكَ حين يقول[٦]: [من المتقارب]

(١) إسحاق بن إبراهيم بن ماهان (أو ميمون) بن بهمن الموصلِّيّ التَّميميّ بالولاء، الأرجانيّ الأصل المعروف بابن النَّديم الموصلِّيّ، نادم الرَّشيد والمأمون والمعتصم والواثق، وُلِدَ عام ٧٦٧م في مدينة الري. سافر مع أبيه إلى بغداد وتلقَّى تعليمه على يد أساتذة أكفَّاء، منهم هيثم بن بشير الكسائيّ. تتلمذ على يد أحد تلامذة والده، وهو منصور زلزل، فتعلَّم منه الضَّرب على العود وتعلَّم الغناء من عاتكة بنت شذا، وتعلم التاريخ والأدب من الأصمعيّ، فاشتهر بالغناء والموسيقى حتَّى أصبح من أشهر وأمهر المُغنِّين والموسيقيِّين في العصر العبَّاسيّ، وبلغ أعظم منزلة عند ستَّة من الخلفاء حتَّى المتوكِّل. تُنظر ترجمته في: وفيات الأعيان: ١/ ٢٠٣، البداية والنهاية: ١٠/ ٣٤٦، الكنى والألقاب: ١/ ٤٤٠.

(٢) مرَّ ذكره.

(٣) يُنظر: وفيات الاعيان: ٥/ ٢٢٨.

(٤) وردت في تاريخ بغداد: ١٠/ ٤١٣ بهذا اللفظ: «الأصمعي فبلبل يطربهم بنغماته».

(٥) فقد قال الفضل بن الربيع في يهجو الأصمعيّ:
عليك أبا عبيدة فاصطنعه فإن العلم عند أبي عبيدة
تاريخ بغداد: ١٣/ ٢٥٥.

(٦) البيان والتبيين: ٥٤٧.

إذا ذُكِـــر الـــشَّـــرُّ في مجلـسٍ
أضـــــاءت وجـــــوه بـنـي بـرمـكِ
وإن تُـلِـيـت عـنـدهـم آيـة
أَتـــوا بـالأَحـاديـث عـن مـزدكِ

ومـا كاد ينصرم عصر الرشـيد ويقوم بعدهُ المأمون، الَّـذِي اتَّخذ (المروين) عاصمة ملكـه برهـةً طويلـةً مِن الزمـن، حتَّى تجلَّـت الشُّـعُوبيَّة وتطـوَّرت، بمقتـضى طبيعة الحال، إِلى أَشـدِّ ممَّا كانـت؛ لقوَّة نفوذ الفُرس يومئذ، سـيَّما وأَنَّ كـون العاصمة إِحدى بلدانهـم أمـر يوجِب بنفسـهِ قـرب عظمائِهم مِـن البلاط الملكـيّ، وسـهولة تصـريف أَغراضهم فيهِ بلا وسِـاطة، فقـام أَحد قوَّادهِ ووزرائهِ طاهر بن الحسـين[1] ذو اليمينَين، المتوفَّـى سـنة ٢٠٧[هـ]، وهو عـربي يحسـن الفارسـيَّة، بمناسـبة[2] في خزاعـة، أمَّا إيمانـه، فـلا مريَّة فيـهِ، ولعل دعـوى تنشـيطه لعلان الـورَّاق[3] فديَّـة عليهِ، مِـن كِبار

(١) طاهر بن الحسـين: هو طاهر بن الحسين بن زريق ماهان الخزاعيّ، وُلِدَ سنة ١٥٩هـ، وهو أحد أشهر قوَّاد الخليفة العبَّاسيّ المأمون، وكان يعرف بذى اليمينَين، وقال فيه الشَّاعر:

يـا ذا الـيـمـنـين وعـيـن واحـده نـقـصـان عـين ويـمـين زائـده

وقد سيَّره لمحاربة أخيه الأمين من خراسان لـمَّا خلع بيعته، فتقدَّم طاهر إلى بغداد بعد كسر جيش الخليفـة بالري، وأخذ ما في طريقه من البلاد، وحاصر بغداد، وقتل الأمين سـنه ١٩٨هـ، وحمل رأسه إلى خراسان، وعقد للمأمون على الخلافة، فكان المأمون يرعاه لمناصحته وخدمته، وقد قام المأمون بتوليته على خراسـان سنة ٢٠٥هـ، وأسـس هُناك الدولة الطاهريَّة، وتوفِّي سنة ٢٠٧هـ. تُنظر ترجمته في: وفيات الأعيان: ٣/ ٨٤.

(٢) في الأصل: (مناسبة)، الصواب ما أثبتناه.

(٣) عـلان الورَّاق الشـعوبيّ، أصلهُ مِـنَ الفرس، وكان علَّامة بالأنسـاب والمثالـب والمنافرات، منقطعًـا إلى البرامكة، ينسـخ في بيت الحكمة للرشـيد والمأمون والبرامكة، عمـل كتاب الميدان الَّـذي هتك فيه العرب وأظهر مثالبها، وكان قد عمل كتابًا سـمَّاه الحلبـة، لم يتمَّه وانقرض أثره، وابتدأ في كتاب الميدان ببني هاشـم، ثمَّ قبيلة بعد قبيلة على الترتيب، إلى آخر قبائل اليمن، على=

الثنويَّة[١]، يرحِّب أيّما ترحيب بالزنديق علان الورَّاق المعروف بـ(علان الشعوبيّ)، ويدعوهُ بعض الكُتَّاب غيلانًا، وعندما احتذى أَمثال أَبي عبيدة، وهو قريب العهد بهِ، في تأليف كتاب في (مثالب العرب)، ومفاخر الفُرس، أَهداهُ إِلى طاهر بن الحسين، فأجازهُ على ما ذكروا بثلاثين ألف درهم؛ تنشيطًا لهُ على ذلِكَ الفضل الشائن للأَدب وللدِّين الصادع لصفاة المسلمين[٢]، إذا اختلج الريب في عقيدة أَبي عبيدة؛ فإنَّ علانًا هذا ممَّا لا يُستراب في زندقتهِ؛ لأَنَّهُ على ما انتهى إلينا، بدأ كتابه بمثالب بني هاشم، ثُمَّ بطون قريش، ثُمَّ سائِر العرب، وخرج في ذلكَ كلِّهُ على الدِّين وعَلَى آداب المسلمين، فألقى عليهم كُلَّ معرَّة، وألصق بهم كُلَّ منقصة، ولولا زندقتهِ لكفاه مِن مناحي الشُّعُوبيَّة ذِكر جملة العرب بما شاء، بلا أن يمسَّ الآداب الإِسلاميَّة العربيَّة، وبدون أَن يتعرَّض لِكُلِّ قبيلة، حَتَّى بني هاشم، الَّذِيَن هُم أَوْلى بالرعايَّة مِن غيرهم، تكريمًا للرسول الأَعظم صلى الله عليه وآله، تعظيمًا لما جاء بهِ، ولذلكَ يعتقد الجاحظ[٣] أَنَّ الزنديق بَيْنَ المُسلميَنْ يكُون في بدء الأَمر

=ترتيب كتاب ابن الكلبيّ، وكتاب فضائل كنانة، وكتاب نسب النمر بن قاسط، وكتاب نسب تغلب بن وائل، وكتاب فضائل ربيعة. تُنظر ترجمته في: الوافي بالوفيات: ١٩/ ٣٦٧.

(١) الثنويَّة: هي طائفة مِن المجوس، وهم من قالوا بإلَهين اثنين؛ هما النور والظلمة، أو الخير والشرِّ، في مقابل أهل التوحيد الَّذين يعبدون إلهًا واحدًا، ومقابل أهل التثليث، الذين يعبدون أكثر من ذلك، وتشعَّبت بأهل التثنية الطرق، وانقسموا إلى فِرَق متعدِّدة وفصائل مختلفة، ولكنَّهم مع ذلك متَّفقون في القول بالثنائيَّة، وقد زعموا «أَنَّه لا يحدث شيءٌ إلَّا من أصل، ولا يدبَّر إلَّا باحتذاء مثال)، وقالوا بأزليَّة النور، واختلفوا في أزليَّة الظلمة. الفتاوى الكبرى ٣/ ٤٩٧، الملل والنحل ١/ ٢٤٤.

(٢) ينظر: البيان والتبيين ٣/ ٥.

(٣) الجاحظ: هو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب بن فزارة الليثيّ الكنانيّ البصريّ. وُلِدَ في مدينة البصرة عام ١٥٩هـ، نشأ فقيرًا، وكان دميمًا قبيحًا جاحظ العينَين، عُرِف عنه خفَّة الروح، وميله إلى الهزل والفكاهة، ومن ثمَّ كانت كتاباته، على اختلاف مواضيعها، لا تخلو من الهزل والتهكُّم. طلب العلم في سنٍّ مبكِّرة، فقرأ القرآن ومبادئ اللغة على شيوخ بلده، ولكنَّ اليُتم والفقر حال دون تفرُّغه لطلب العلم، فصار يبيع السَّمك والخبز في النهار، ويكتري دكاكين=

شـعوبيًّا ينصبُ للعرب، ثُمَّ يطعن في الإسـلام؛ لكونهِ ظهر عَلَى أيدي العرب، وهو في كتابهِ (الحيوان)[1] يصعب ردَّة كُلِّ مرتدٍ عن الإِسـلام بتعليمات الشُّعُوبيَّة الَّذِين يعادون العرب ظاهرًا، والإِسلام باطنًا[2].

[الأفشين وشعوبيَّتهُ]

إِنَّ أَشـدَّ زنادقة الشُّـعُوبيَّة الأَفشـين، وهو تركيّ[3] مِـن أَهل أَشْـرُوسـنة مِن بلاد ما وراء النهر[4]، تولَّى قيادة الجيش التركيّ العَامَّة في عهد المعتصم العبَّاسـيّ، فأحسن لـهُ الطاعة والخدمة، حتَّى كأَنَّهُ عَلَى رأي (الخطيب التبريزيّ)[5] لم يكن كافرًا ولا مُنافقًا؛ ولكنَّهُ كان يُضمِر السُّـوء للعرب، ويودُّ أَن لو دالـت دولتهم، وانمحى دينهم، ولذلِكَ

=الورَّاقـين في الليل، فكان يقرأ منها ما يسـتطيع قراءته. لهُ مؤلَّفات عديدة. توفِّي سـنة ٢٥٥هـ، وقـد نيف على التسـعين سـنة. تُنظر ترجمته في: سـير أعـلام النبـلاء: ١١/ ٥٢٦، تاريخ بغداد: ١٢/ ٢٠٨.

(١) وقـد تنبَّه الجاحظ إلى الصِّلة بين الشـعوبيَّة والزندقة، فقال: «إنَّ عامَّة من ارتاب بالإسـلام إنَّما كان أوَّل ذلـك رأي الشـعوبيَّة والتمادي فيه، وطول الجدال المؤدِّي إلى القتال، فإذا أبغض شـيئًا أبغـض أهلهُ، وإن أبغـض تلك اللُّغة أبغض تلـك الجزيرة، وإذ أبغض تلـك الجزيرة أحبَّ من أبغض تلك الجزيرة، فلا تزال الحالات تنتقل به حتَّى ينسـلخ من الإسلام، إذ كانت العرب هي الَّتي جاءت به، وهي السَّلَف والقدوة». الحيوان: ٧/ ١٣١.

(٢) الاعتدال، الحلقة الثَّانية، السنة الثالثة، العدد السادس، ١٩٣٥م: ٣٣٣-٣٣٧.

(٣) يقول في [كتاب] (ضحى الإسلام): إنَّه فارسيّ، ولعلَّه يريد أنَّه من غير العرب؛ لما أنَّه لأغراض له بتحقيق فارسيَّته أو تركيَّته. (م). ضحى الإسلام: ١/ ٤٥.

(٤) مُعجم البلدان: ٣/ ٢٦٤.

(٥) الخطيب التَّبريزي: هو أبو زكريَّا يحيى بن عليّ بن محمَّد الشـيبانيّ التَّبريزيّ، وشهرته الخطيب التَّبريـزيّ. وُلِـدَ في تبريز عام ٤٢١ هـ، وأخذ على أبي العلاء المعرِّيّ. نشـأ ببغداد ورحل إلى بلاد الشـام، ودخل مصر، ثمَّ عاد إلى بغداد، فقام على خزانة الكتب في المدرسـة النظاميَّة إلى أن توفِّي في الثَّامن والعشرين من جُمادى الأولى سـنة ٥٠٢هـ. لـهُ مؤلَّفات عديدة. تُنظر ترجمته في: تاريخ مدينة دمشق: ١٢/ ٣٠، البداية والنهاية: ١٢/ ٢١١.

كان يحمل مازيار[١] عَلَى التمرد، ومحاربة الجيش العربيّ مِن الجند والمتطوِّعة، الَّذِيَن يقودهم طاهر بن الحسين، وكان يبعث بما يقع لهُ مِن أَموال ونفائِس وتحف إِلَى بلده أشروسنة الَّتِي يزعم أهلها أَنَّهُ إله لهم[٢].

إنَّ التاريخ[٣] يحكي عن الأفشين حيدر بن كاوس[٤]، أَنَّهُ يعترف بحبِّ الأعجميَّة والميل إِلى أهلها، وأَنَّهُ مُنذ اعتنق الإسلام لَمْ يكفر بهِ؛ ولكن خصماءه يرمونهُ بأَنَّهُ إِلَى حين إلقائِهِ تلكَ القرية أَمام المحكمين، لَمْ يختتن وَلَمْ يطل وَلَمْ يفارق كتابًا عندهُ، فيهِ آداب الفُرس، ولربَّما كان فيهِ الكفر والزندقة فقط، ومهما كان مِن شيءٍ، فإِن الجاحظ يحدِّثنا عنهُ[٥] بلا تردد، أَنَّهُ يقُول: «إِن ظفرت بالعرب، شدَخت رؤوس عظمائِهم

(١) المازيار صاحب طبرستان، فاسمه مُحَمَّد بن قارن. وكان ظلومًا غشومًا، صادر أهل طبرستان، أذلَّهم، وجعل السَّلاسل في أعناقهم، وخرَّب أسوار مدائنهم. حارب جيوش المعتصم إلى أن انكسر، فأُسِر، وقُتِل أخوه شهريار. وضُرِب هو حتَّى مات، وصُلِب إلى جانب بابك. وكان عظيمًا عند المأمون يكتب إليه: إلى أصبهنذ إصبهان، وصاحب طبرستان. وكان قد جمع أموالًا لا تُحصى. تاريخ الإسلام: ١٦/ ٢٤.

(٢) فقد ورد في كتب التاريخ ما نصَّهُ: «وكان الأفشين قد سيَّر أموالًا عظيمةً إلى مدينة أَشْرُوسَنَةَ، وهمَّ بالهرب إليها، وأحسَّ بالأمر. ثمَّ هيَّأ دعوةً ليَسُمَّ المعتصم وقُوَّاده، فإن لم يَجِب دعا لها الأتراك، مثل إيتاخ، وأشناس، فيسمُّهم ويذهب إلى أرمينية، ويدور إلى أَشْرُوسَنَة. فطال به الأمر، ولم يتهيَّأ له ذلك، فأخبر بعضُ خَوَاصِّه المعتصمَ بعزمه، فقبض حينئذ المعتصم عليه وحبسه، وكتب إلى ابن طاهر بأن يقبض على ولده الحسن بن الأفشين..». ينظر: تاريخ الطبريّ: ٩/ ١٠٥، العيون والحدائق: ٣/ ٤٠٥، الكامل: ٦/ ٥١٢، سير أعلام النُّبلاء: ١٠/ ٢٩٩.

(٣) راجع تاريخي الطبري وابن الأثير. (م). تاريخ الطبريّ: ٧/ ١٩١، الكامل: ٦/ ٤٢٠.

(٤) اسمه حيدر بن كاوس، من أولاد الأكاسرة، والأفشين لقب لمن ملك أشروسنة. وكان موصوفًا بالشَّجاعة والرأي والخبرة. وقد مرَّ أنَّه حارب بابك وظفر به. وكان أكبر من بقي في دولة المعتصم. فذكر حمدون بن إسماعيل قال: بعث معي الأفشين رسالة إلى المعتصم يترقَّق لهُ، ويحلف ويتنصل ويتذلَّل لهُ، فلم يُغنِ، ومُنِع من الطعام، حتَّى مات. ثمَّ أُخرِج وصُلِب في شعبان. تاريخ الإسلام: ١٦/ ٢٤.

(٥) في كتابه البيان والتبيان للجاحظ: ٣/ ٢٨. (م).

بالدّبُّوس»[1].

وَقَدْ فدح الإسلام مَا فدحهُ مِن فقدِ نفسٍ ومالٍ، وَمِن عناءٍ ومشقَّةٍ، مِن لدن عام ٢١٨-٢٢٧[هـ]، تلك المدَّة الَّتِي شغلتها حروب ما زيار، ومطاولة الأفشين للمتمرِّد بابك الخرَّميّ[2]، في محاربتهِ لهُ، وَمَا كان ذلكَ مُستندًا إلَّا إلىَ دعامتهِ الوحيد شعوبيَّة الأفشين أو زندقتهِ، وزندقة أخيه خاش بن كاوس الَّذِي يكتب كوهيار[3]، وهو مجوسيّ يكنِّي عن النار الَّتِي يعبدها بالدِّين الأَبيض، لا يهمك ذلك الجيش المؤلَّف مِن العرب؛ لأَنَّ العربيّ بمنزلةِ الكلب، اطرح لهُ كِسرة، ثمَّ أَضرب رأسهُ بالدّبُّوس[4].

إِنِّي أَرى المعتصم العبَّاسيّ قد أَخطأ خطأً فاحشًا، في تأليف جيش مِنَ الأتراك وآخر مِنَ المغاربة، وضمّهما إِلَى الجيش العربيّ؛ لأنَّ ذلك الجيش التركيّ الكثير الشغب لا يذعن للعرب بطبعهِ، ولا يأبه بهم أن يدمِّرهم، وهذا ما دعا المعتصم إِلى تأليفهم؛ لأَنَّهُ كان يخشى اتِّفاق العرب عليه يومًا ما، ولم يحسب أيّما حساب لانقلاب ذلكَ الجيش الغليظ الجافي عَلَى الخلفاء، حَتَّى لقد تبدَّدت ودالت الدولة العبَّاسيَّة، بشعبهم فقط، إِلَى أن سقطت بأيدي الديالمة[5].

(١) البيان والتبيين: ٣/ ٢٨.

(٢) بابَك الخُرَّميّ: هو قائد عسكري بارز، قاد الحركة الخرَّميَّة ضدَّ الخلافة العربيَّة في أذربيجان، نشأ بابك بن بهرام في حياته الأولى راعيًا صغيرًا في قرية اسمها بلال آباد في أذربيجان، وقد زعمت أمُّه أنَّها نظرت إليه وهو نائم، فرأت تحت كُلِّ شعرة من رأسه وصدره دمًا، فلمَّا انتبه من نومه، اختفى هذا الدَّم، فقالت: إنَّهُ سيكون لابني نبأ جليل، توفِّي نحو ٢٢٣هـ. تُنظر ترجمته في: تاريخ الإسلام: ١٦/ ٧، سير أعلام النبلاء: ١١/ ٢٥٧.

(٣) كوهيار: بالضمِّ، وكسر الهاء، وياء مثَّناة مِنْ تحت، وآخره راء: مِنْ قرى طبرستان. ويُقال لها: قوهيار، إذا عرِّبت، ويقال لها: كوهيار. معجم البلدان: ٤/ ٤٩٦، الأنساب: ٤/ ٥٦٢.

(٤) كذا في تاريخ الطبريّ والجزريّ. (م). تاريخ الطبريّ: ٧/ ٣٠٨، تاريخ الإسلام: ١٦/ ٢١.

(٥) الديلم أو الديالمة: بنو بويه الديالمة، ويعود أصلهم إلى ابن شجاع بويه بن فناخسرو الَّذي=

ولقد كان الفُرس يستفيدون كثيرًا مِن استلام قوَّاد الترك أزمة الأُمور في عاصمة الخلافة العبَّاسيَّة [١]؛ لأنَّ الكثير مِنْهُم متخلِّق مِن ذوي قبل، بالأخلاق الفارسيَّة، والأكثر لا يهمُّه شغب أحد على الحكم العبَّاسيّ في أطراف المملكة، إذا كان هُو وادعًا في محلِّهِ لا خطر عليه، ولا وطن يدافع عنهُ. لَقَدْ شعَّب الأتراك على المتوكِّل جعفر بن المعتصم العبَّاسيّ [٢]، فغادروا لحمه مختلطًا بلحم وزيرهِ الفتح بن خاقان [٣] لا يتميَّزان، فماذا ظهر مِن حقد الشُّعُوبيَّة يومئذ على العرب، وبالآخرة على الإسلام؟.

التهب الغيظ الحاد في قلب نديمهِ إبراهيم بن مشاذ [٤] أبي إسحاق

=ينتمي إلى قبيلة شيردل آوند، وكان يقطن قرية كياكاليش، ويمتهن صيد الأسماك، ولهُ مِن الأولاد ثلاثة، وهم عليّ وحسن وأحمد، كانوا يتميَّزون بالتدبير والشجاعة ودماثة الخلق وحسن السيرة مع النَّاس. الهداية: ١٢٨.

(١) إنَّ المقصود بالعاصمة هنا سامرَّاء وليس بغداد؛ لأنَّ نفوذهم اتَّسع.

(٢) أبو الفضل جعفر المتوكِّل على الله بن المعتصم بن هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور، وفترة الخلافة (٢٣٢-٢٤٧هـ)، خلفًا لأخيه الواثق بالله، وخلفه ابنه المُنتصر بالله. أُمُّه أمُّ ولد تركيَّة، اسمها (شجاع). قتل أبيه المتوكِّل بالفعل في ليلة الأربعاء ٤ شوَّال سنة ٢٤٨هـ، دخلوا على المتوكِّل فقتلوه بسيوفهم، وقتلوا معه صديقه الفتح بن خاقان. تُنظر ترجمته في: تاريخ الإسلام: ٢٠/ ٣٢٢.

(٣) أبو محمَّد الفتح بن أحمد بن غرطوج، هو وزير وأديب وشاعر ترعرع في أحضان الدولة العبَّاسيَّة، من أصول فارسيَّة، عيَّنه المتوكِّل أميرًا ونائبًا لشؤون مصر وأفريقية. اتَّخذه المتوكِّل أخًا، وكان يقدِّمه على سائر ولده وأهله. اشتهر بدوره في إخماد الفتنة الَّتي وقعت بين بطون قبيلة تغلب العربيَّة عام ٢٤٣هـ، حين عهد إليه المتوكِّل بذلك. قُتِل مع الخليفة المتوكِّل في سامرَّاء سنة ٢٤٧هـ. ولهُ مؤلَّفات عديدة. تُنظر ترجمته في: فوات الوفيات: ٢/ ٢٠٦، تاريخ مدينة دمشق: ٤٧/ ٢٢٢.

(٤) إبراهيم بن ممشاذ: هو إبراهيم بن ممشاذ، أبو إسحاق المتوكِّليّ الأصبهانيّ. خرج إلى العراق وكتب للمتوكِّل، ثمَّ صار مِنْ ندمائه، فسمِّي المتوكِّليّ، ولم يكن في أيَّامه بالعراق أبلغ منه، ولهُ رسالة طويلة في تقريظ المتوكِّل والفتح بن خاقان، يتداولها كتَّاب العراق. تُنظر ترجمته في: معجم الأدباء: ٢/ ١٦، الوافي بالوفيات: ٥/ ٥٤-٥٥.

المتـوكِّليّ[1]، وتسـخط صحبة أولاد المتـوكِّل؛ لمـا أنَّ بعضهم أعان على قتلهِ، وسـكت البعـض الآخر، فلـمَّا فارقهم ولحق بعدوِّهم يعقـوب بن الليث[2] الَّذِيَ ظـلَّ برهةً مِنَ الزمـن يطرد الحكم العبَّاسيّ، ليسـتقلَّ بأمر نفسـه، فـار في قلبهِ الدَّم الفـارسيّ، وأَظهر ما كان يكتمه مِن الشُّعُوبيَّة الخبيثة، وربَّما كان لحاقه بذلك العدو الشَّديد؛ لتحريضهِ على التمرُّدِ والعصيانِ على الخلفاء.

إِنِّي لا أسـتطيع أن أرمي ابن ممشـاذ الفارسيّ الأَصفهانيّ بسوء العقيدة؛ لكنَّ كلامهُ الَّـذِي يحكيه لنا عنهُ ياقوت الحمويّ[3] لا يدع مجالًا للاعتذار عنهُ إلَّا بأسرار الزندقة[4]، كيف! والأفشـين التركـيّ عَلَى صلابة شـعوبيَّتِهِ، لَمْ تُؤْثَر عنهُ سـوى تلِـك الكلمة المرَّة

(١) في ج١ مـن معجم الأدباء إبراهيم هذا، وقال إنَّهُ من بلغاء أصفهان، خرج إلى العراق، ثمَّ صار من ندمائِهِ فنسـب إليه، ويظهر من بعض شـعره أنَّه كالمتوكِّل في سـوء الرأي والمقالة بالعلويِّين. (م). معجم الأدباء: ٢/ ١٦.

(٢) الملـك أبـو يوسـف يعقوب بن الليـث الصفَّار مـن الجبال الشرقيَّة، المسـتولي على سجسـتان وخراسان. أسَّس السلالة الصفاريَّة الساسيَّة التي حكمت فارس وبلاد ما وراء النهر. قيل: كان هـو وأخوه عمرو بن الليث يعملان في النحاس، فتزهَّدا، وجاهدا مع صالح المُطَّوِّعِيّ المحارب للخوارج. قال ابن الأثير: غلب صالح على سجسـتان، ثمَّ اسـتنقذها منـه طاهر بن عبد الله بن طاهر، فظهر بها درهم بن حسـين المطوعيّ، فاستولى أيضًا عليها، وجعل يعقوب بن الليث قائد عسـكره، ثـمَّ رأى أصحاب درهم عجزه، فملَّكوا يعقوب لحسـن سياسـته، فأذعن لهم درهم، واشتهرت صولة يعقوب، وغَلَبه على هراة وبوشنج، وحارب الترك، وظفر بِرُتْبِيل، فقتله، وقتل ثلاثة ملوك، ورجع معه ألوف من الرؤوس، فهابته الملوك. وكان بوجهه ضربة سـيف مُـخَيَّطَة. تُنظر ترجمته في: تاريخ بغداد: ٤/ ٢٨١، الكامل: ٧/ ٦٤، الأعلام: ٢/ ٢٠٩.

(٣) ياقوت الحمويّ: شهاب الدِّين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحمويّ، وُلِدَ سنة ٥٧٤هـ، أديب ومؤلِّف موسوعات وخطَّاط من أصل روميّ، اشتغل بالعلم وأكثر من دراسة الأدب، سكن في مدينة بغداد حتَّى وفاتِهِ، ولقد سـمَّى نفسه (عبد الرحمن). وأهمُّ مؤلَّفاته كتاب (معجم البلدان) الَّذي تُرجِم وطُبِع عدَّة مرَّات. توفِّي سنة ٦٢٣هـ في حلب. معجم البلدان: ١/ ٦.

(٤) معجم الأدباء: ٢/ ١٦.

الملتهبة الَّتِي لم يخاطب بها أَحدًا، فضلًا عن أَن يكون هو الخليفة، وهذا الفارسيّ ربيب النعمة العباسيَّة أَبت لهُ فارسيتهُ إلَّا أَن يكُون صورةً مجسَّمةً للغدرِ وكفرِ النعمةِ، فكتب مِن عنْد يعقوب بن الليث إِلَى المعتمد العبَّاسيّ أَبياتهُ التاليَّة بلا محاباة، وبدون أَدنى سبب لولا استضعافه المعتمد نفسهُ بتغلُّب قوَّاد الأَتراك عَلَى أَزمنة الخلافة في عاصمتها، ولربَّما كان هذا الفارسيّ وغيرهُ يدسُّون السمَّ بالدَّسم، ويبذرون بذور الشِّقاق بينهم باسم الدِّين الَّذِي تتلاعب بهِ العبَّاسيَّة بزعمهم؛ أَمَّا الأبيات، عَلَى نقل مُعجم الأُدباء[1]، فهي هَذِهِ: [من المتقارب]

أنا ابنُ الأطايب مِنْ نَسْلِ جَمْ
وحائزُ إرْثِ مُلوكِ العَجَمْ[2]
ومُحيي الَّذي باد مَنْ عَزهم
وعفى عليه طوال القِدَمْ
وطالبُ أوتارهم جهرةً
فمن نام عن حقِّهم لم أنمْ

إِلَى أن قال:

مَعِي عَلَمُ الكابيان الَّذِيَ
بهِ أَرْتَجِي أَنْ أَسُود الأُمَمْ[3]

(١) معجم الأدباء: ١/ ١٢٩.
(٢) (الأطايب) في معجم الأدباء (الأكارم).
(٣) الكابيان: هو راية (أفريدون) العظمى الَّتِي يسمُّونها درفش كابيان، باسم الدجَّال الَّذي زعم أَنَّهُ دبَّرها بالسحر والطلاسم؛ لينتصر بها الجيش إذا تقدَّمته، وهي متَّخذة من جلود النمور، مرصَّعة بالجواهر الثمينة، طولها ١٢ ذراعًا في عرض ٨، تشدُّ على خشب طوال موصل. (م). تجارب الأمم: ١/ ٣٤٧.

فَـقُـل لِـبـنَـي هـاشِـمٍ أجمـعـينْ
هَـلُـمُّـوا إلى الخَـلـع قَـبْـلَ الـنَّـدَمْ
مَـلَـكْـنَـاكُـمُ عَـنْـوَةً بـالـرِّمـاح
طَـعْـنًـا وَضَرْبًـا بـسـيـفِ خَـذِمْ
وأولاكـم المـلـكَ آبـاؤنـا
فـمـا إنْ وفـيـتـم بـشـكـرِ الـنِّـعـمْ
فَـعُـودوا إلى أرضِـكُـم بـالحِـجـازِ
لأكـلِ الـضَّـبـاب وَرَعْـي الـغَـنَـمْ
فـإنِّـي سـأعـلـو سريـرَ المـلـوكِ
بـحـدِّ الحـسـام وَحَـرْفِ الـقـلـمْ

إنَّ هذا الشَّاعِر يعلم أن قريشًا، وخاصَّة بني هاشم، لم يملكها فارسيّ لليوم؛ ولم تكن آكلة ضباب، ولا رعاة غنم، ولكنَّهُ يعني بمقالهِ ذلِك القاسي جملة العرب الَّذِي تضطرُّهم سكنى الباديَّة إِلَى اقتناء الأَنعام ورعيها، كما تقتنيها وترعاها أَهل البوادي الفارسيَّة، وما مِن منقصةٍ أَدبيَّةٍ في ذلِكَ عَلَى أَحد الفريقَين، كما أَنَّهُ لا منقصة أَدبيَّة ولا أَخلاقيَّة في أن يأكل الضبّ مِن اعتاد أَكله؛ لتطاول القحط عليهِ، وليس أَكل الضباب بأخبث مِن أكل الثعابين، وَمِن أعتاد أَكل شيء، ولو كان هو لحم الإنسان حيًّا أَو ميتًّا، استطابه واستلذَّه، وعَلَى كُلٍّ فإِنَّ جشوبة المطعم ورداءةَ العيش لا يصلح أَدبيًّا أن يعدًّا منقصةً، ولا خِسَّةً في الطبعِ.

أمَّا ما يشير إِليهِ بقوله: «وأولاكم الملك آباؤنا» مِن قيام الدولة العبَّاسيَّة ببأس الجند الخراسانيّ، وتدبير أَبي مُسلم، فقد فاتهُ أَن يعلم أَنَّ أَبا مُسلم عربيّ من باهلة، وكان مِن شيعةِ بني هاشم في المدينة، بعثهُ إِبراهيم

الإمام[١] إلى خراسان، فتصرَّف في أَهلِهِ بما شاء وشاء لهُ البيان العربيّ، والحزم والذكاء اللذين ارتضعهما في البلاد العربيَّة، فقاد جيشًا كثيفًا جلَّهُ مِن العرب الَّذِيَن ما زالوا في نواحي خراسان مُنذ أيَّام الفتوح الإِسلاميَّة، وعلى عهد الخلفاء، وفي الدور المروانيّ [أيضًا].

ولقد كان الأَولى لهذا الفارسيّ أن يعنوا ويتنازل للعرب، ولا يجاهر بقول: «ملكناكُم عَنْوَةً بالرماح»، حينما يلتفت بأوَّل فكرة ولأوَّل نظرة تاريخيَّة إِلَى وغول المُسلمين في قلبِ فارس، وامتلاكهم بلدانهم وأَموالهم ونساءهم وذراريهم، حَتَّى أَصبح الهرمزان[٢] نفسهُ أَسيرًا في المدينة، مجرَّدًا عن زينتهِ، عاريًّا عن بهائِهِ، وحتَّى وقفت بنات يزدجرد[٣] في

(١) إبراهيم بن مُحمَّد بن عليّ بن عبد الله بن العبَّاس المعروف بإبراهيم الإمام، زعيم الدعوة العبَّاسيَّة قبل ظهورها، وهو أخو الخليفَتَين السفَّاح وأبي جعفر المنصور. يكنَّى بأبي إسحاق. وُلِدَ بالحميمة عام ٨٢هـ. تزوَّج من أمِّ جعفر بنت عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام. عهد إليه أبوه في السرِّ بالإمامة، وتزعَّم الدعوة لحكم العبَّاسيِّين، فبلغ خبره مروان الثَّاني، فأخذه وحبسه مدَّة بحرَّان، ثمَّ قتله غيلة، فبويع سرًّا أخوه أبو العبَّاس السفَّاح. لمَّا قُتل إبراهيم الإمام، لبس أقاربه السواد حزنًا عليه، وذلك أوَّل ما لبسوه، فصار شعارًا لهم، ذكره العسكريّ في الأوائل. الإمام فحبسه مروان بن مُحمَّد بحرَّان، وما زال في السجن حتَّى مات في صفر سنة ١٣١هـ، وعمره ثمان وأربعون سنة. تُنظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء: ٥/ ٣٧٩، البداية والنهاية: ١٠/ ٣٣.

(٢) الهُرمُزان: هو أحد قادة الفرس إبَّان الفتح الإسلاميّ، وكان قائد الجيش الفارسيّ في معركة القادسية. الهرمزان (قُتِل في عام ٢٣ هـ) حاكم الأهواز. أثناء فتح فارس في عهد يزدجرد الثالث. وكان قد عقد صلحًا مع المسلمين في السنة السادسة عشرة للهجرة، ما لبث أن نقضه فيما بعد بتحريض من يزدجرد، وعلم المسلمون بذلك؛ فجهَّزوا جيشًا لمحاربته ومحاربة من تعاقد معه على ذلك؛ فأُسر، وأقبلوا به إلى المدينة مكتوف اليدين، وعليه تاجه وحليته، فأراد عمر أن يضرب عنقه، فأعلن إسلامه في قصَّة طريفة. تُنظر ترجمته في: تاريخ الطبريّ ٥/ ١٨٨، المحلَّى: ١١/ ١١٥.

(٣) شهربانو شاه زنان بنت يزدجرد بن أنوشروان: أميرة فارسيَّة، واسمها يعني باللُّغة العربيَّة=

مسجد طيبة، يتنافس فيهنَّ المسلمون أَيُّهم يسبق صاحبه إِلَى أحداها؛ لينشلها مِن الهوان وذلِّ الأَسر الَّذِيَ لحقها، ولعمري أَن مِهيارًا الدّيلميّ[1]، عَلَىَ ما فيهِ مِن شعوبيَّةٍ شديدةٍ، على ما يُقال، لأَنصف منهُ وأَشدّ استمساكًا بحقائِقِ التأريخِ الراهنة، وذلِكَ حيثُ يقول في إِحدى شعوبيَّاتهِ[2]: [مجزوء الكامل]

وخـــلائـــق لـــلـــدهـــر تُـــنـــ
ـــــصَر بـــالمـــقـــادر أو تـــعـــانُ
خَـــلَّـــتْ بـــفـــارس بـــركَـــهـــا
وعـــــلى الجـــبـــال لهـــاجِـــرانُ
وهـــفـــا بـــبـــيـــضـــاء المـــدا
ئـــن يـــومُ بـــأس أَرْوَنـــــانُ
وبـــبـــلـــخ لم تـــبـــدُ الـــذيُـــو
لُ مـــن الهِـــضـــابِ ولا الـــقِـــنـــانُ [3]

=(ملكة النساء)، ولقِّبت بـ(سلافة)، وهي ابنة آخر أكاسرة الفرس. هي زوجة الحسين بن عليّ ابن أبي طالب، وأمُّ عليّ السجَّاد. وقعت في الأسر هي وأُختَيها بعد انتصار الجيوش الإسلاميَّة على الجيوش المجوسيَّة في الفتوح الإسلاميَّة، وقد تزوَّجها الحسين بن عليّ بن أبي طالب، وأنجب منها ابنه عليّ زين العابدين. والقول الصحيح إنَّها توفِّيت بعد ولادة عليّ السجَّاد. توفِّيت شهربانو في الخامس من شعبان من سنة ٣٨هـ في المدينة المنوَّرة، وذلك في نفاسها، أي حين ولادتها لزين العابدين. تُنظر ترجمته في: الوافي: ١/ ٧٦٧، أعيان الشيعة: ١/ ٦٢٩.

(١) مهيار الديلميّ: أبو الحسن أو أبو الحسين، مِهيَارُ بن مروزيه الدَّيلمِيُّ، كاتب وشاعر فارسيّ الأصل، من أهل بغداد. كان منزله في بغداد بدرب رباح من الكرخ. كان مجوسيًّا فأسلم، ويقال إنَّ إسلامه سنة ٣٨٤هـ كان على يد الشريف الرضيّ أبي الحسن محمَّد الموسويّ، وهو شيخه، توفِّي ٤٢٨هـ. تُنظر ترجمته في: وفيات الأعيان: ٥/ ٣٥٩، البداية والنهاية: ١٢/ ٥٢.

(٢) ديوان مهيار: ٤/ ٤١-٤٢.

(٣) بلخ: مدينة مشهورة بخراسان، في كتاب الملحمة المنسوب إلى بطليموس: بلخ طولها مائة=

درَجَ المـــلـــوكُ بهـــا كـما
درجَـــت مـع الـنَّـفـس الـسـنـانُ
هـــم أنـضـبـوا ذاك المَـعـ
ـــين بهـا وهـــم ذاك المُـعـانُ
طـلـبـوا الأمـــان وكـــان يـؤ
خـــذُ مِـــنْ سـيـوفـهـم الأمـــانُ
إن أُرجِـــلـــوا هـــز لي فـكـم
ركـبـوا الـزمـان وهـم سِـمانُ
وعـتَـوا وكُـلّ عـزيـزِ قـو
مٍ تحـت أرجـلـهـم مـهـانُ
أبـكـيـهـمُ أثـــرًا ومـا
لي أن أبـــرَّهـــمُ عـيـانُ

[مهيار وشعوبيته]

إنَّ مِهيارًا لصدق إسلامهِ زعم أنَّهُ يبكي الفُرس، لكنَّهُ يبخل عليهم بالبرِّ لكفرهم كما أبرَّهيم ابن ممشاذ[1]؛ لكنَّهُ في شعوبيَّتِهِ الأُخرى- ابنة الأَعاجم- قَدْ أَبدع في تقريضهم وَلَمْ يأل جهدًا في برِّهم، وكان ذلِكَ- عَلَى ما أتحقَّقه- قبل إسلامهِ رسميًّا، وتلِك الشُّعُوبيَّة عَلَى ما بها، قد أَنصف العرب والفُرس فيها، إِذ يقُول مخاطبًا للأَوَّلين[2]:

[من الرجز]

=وخمس عشرة درجة، وعرضها سبع وثلاثون درجة. معجم البلدان: ١/ ٤٧٩.

(١) مرَّ ذِكره.

(٢) ديوان مهيار الديلميّ: ٣/ ٣٣٥.

مَـا بَـرِحـتْ مـظـلـمـةً دنـيـاكُـمُ
حَـتَّـى أضـاءَ كـوكـبٌ مِـنْ هـاشـمِ
بـنـتـم بـهِ وكـنـتُـمُ مِـنْ قـبـلِـهِ
سـرًّا يـلـوحُ في ضـلـوعِ كـاتـمِ
حـلـلـتُـمُ بهَـدْيِـهِ ويُـمـنـهِ
بـعـدَ الـوِهـاد في ذُري الـعـواصـمِ
وعـاد، هـل مِـنْ مـلـكٍ مـسـامـحٍ
تـدعُـون، هـل مِـنْ مـلـكٍ مـقـادمِ؟
تخـفُـقُ رايـاتُـكُـمُ مـنـصـورةً
إذا ادرعـتـم بـآسـمـه في جـاحـمِ

إنَّ العـرب لَمْ تحمل نير الحكم الفارسيّ القاسي حتَّـى في الجاهليَّة، وَقَدْ كان يتمدح شاعرهم بقول: «مِن نسْلِ شَيْبَان بَيْنَ الضَّالِ والسَّلَمِ»[1].

يريـد أنَّهُ لم تستذله أي حكومة أجنبيَّة جائِرة؛ لأنَّ مـن كان قاطنًا في تلك المجاهل البعيدة عن العمران، وهي الَّتِي تنبت الضَّال والسـلم يكُون حرًّا في كافَّة أَفعالهِ، مختارًا مستقلًّا فيها، لا سلطان عليهِ لغير الإنسانيَّة، والعواطف الكريمة.

وهـذا التاريـخ يحكـي لنـا اسـتقلال (المنـاذرة) لي أنَّ أبرَّهـمُ عيـانُ[2] في العراق

(١) صـدر البيـت: «هذا أَبُـو الصَقرَ فَرْدًا في محاسـنِهِ» يُنسـب إلى ابن الروميّ أبي الحسـن عليّ بن العبَّاس بن جريج الشَّاعر الهجَّاء (ت٢٨٣هـ)، يمدح بِهِ أبا الصقر الشيبانيّ وزير الخليفة العبَّاسيّ المعتمد. مختصر المعاني: ٥٣.

(٢) المنـاذرة: اسـم أُطلق على ملوك الحيرة مـن آل نصر بن ربيعة الذين عرفـوا كذلك بـ(آل لخم)، وبـ(آل النعمان)، وبـ(آل عدي)، وورد أنَّ العرب كانت تسـمِّي بني المنذر بـ(الملوك الأشاهب)؛ لجمالهم. يعود نسـب المناذرة آل نصر بن ربيعة إلى قبيلة لخـم القحطانيَّة، وهم بنو مالك (لخم)=

و(الغساسنة)[١] في الشام، وأَقيال (حمير)[٢] في اليمن زمن سيادة الأكاسرة والقياصرة، حتَّى أنَّ النعمان بن المنذر[٣] أَنف أَن يزوِّج ابنته (الحرقه) مِن كسرى

=ابن عَدِيّ بن الحارث بن مرَّ بن أُدَد بن زيد بن يَشْجُب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ ابن يشجب بن يعرب بن قحطان. أقرب القبائل نسبًا لبني لخم، هم بنو جذام (عمرو) بن عَدِيّ ابن الحارث، وهو أخو لخم، ويليهم بنو كندة، حيث إنَّ لخم (مالك) هو عمُّ ثور (كندة) بن عفير بن عَدِيّ بن الحارث جدُّ ملوك مملكة كندة. الكامل: ١/ ٢٢٢، ٢٢٨، تاريخ ابن خلدون: ٢/ ٣٠٧.

(١) الغساسنة هم سلالة عربيَّة أسَّست مملكة في الشام ضمن حدود الإمبراطوريَّة البيزنطيَّة في مدَّة ما قبل الإسلام. أسَّس المملكة العربيَّة أحفاد قبيلة أزد من اليمن، الذين هاجروا في أوائل القرن الثالث الميلاديّ إلى بلاد الشام، فقد اندمج بعضهم مع المجتمعات المسيحيَّة المُتهلينة، وقد تحوَّلوا إلى الديانة المسيحيَّة في العقود الأولى من القرون الميلاديَّة، بينما كان البعض الآخر من المسيحيِّين، وذلك قبل الهجرة إلى الشمال؛ للهروب من الاضطهاد الدينيّ. جمهرة أنساب العرب: ١٥٦.

(٢) مملكة يمنيَّة قديمة نشأت في (ظفار يريم)، واستطاعت القضاء على ممالك اليمن القديم الأربعة، وضمها وقبائلها في مملكة واحدة، هي آخر مملكة يمنيَّة قبل الإسلام، وكانت لهم علاقة وثيقة بمملكة كندة عن طريق تحالف بينهم يعود للقرن الثاني ق.م. الحميريُّون بالأصل قبائل سبئيَّة اعتنقت الديانة اليهوديَّة، كانت تنتشر في مناطق ريمة، تعز، إب، ذمار، وأجزاء من صنعاء ومأرب، وعاصمتهم ظفار في محافظة إب. ما زالت معارف الباحثين ضئيلة عن تاريخ هذه المملكة السياسيّ، وتاريخ اليمن القديم بشكلٍ عام، فالمُكتشف يمثِّل نسبة ضئيلة للغاية، وعُثِر على غالبه بظاهر الأرض، وظهرت المملكة قرابة العام ١١٠ق.م، وهي مدَّة مضطربة في تاريخ اليمن، تزامنت مع ظهور أقيال إقطاعيِّين وضعف السلطة المركزيَّة المتمثِّلة بمملكة سبأ. ينظر ترجمته في: البداية والنهاية ٥/ ٨٨.

(٣) النعمان بن المنذر بن امرئ القيس اللخميّ، الملقَّب بأبي قابوس ٥٨٢هـ، كان مسيحيًّا نسطوريًّا، تسلَّم مقاليد الحكم بعد أبيه، وهو من أشهر ملوك المناذرة قبل الإسلام. كان داهية مقدامًا. وهو ممدوح. وهو باني مدينة النعمانيَّة على ضفة دجلة اليمنى، وصاحب يوم البؤس والنعيم؛ وقاتل عبيد بن الأبرص الشاعر، في يوم بؤسه؛ وقاتل عدي بن زيد وغازي قرقيسيا (بين الخابور والفرات). كان أبرش أحمر الشعر، قصيرًا، وكانت أمُّه يهودية من خيبر، نصره شمعون بن جابر عام ٥٩٤هـ. تُنظر ترجمته في: الروض الأنف في شرح السيرة النبويَّة لابن هشام: ١/ ٥٩، البداية والنهاية: ٢/ ٢٢٨.

أنوشـيروان[1]، وهو عندهُ، وفضَّل أَن يموت تحت أَرجـل الفيلة على مصاهرة العلوج، وأَن يـوم (ذي قـار)[2] الَّذِي انتصرت فيه بنو شـيبان على كسـرى أبرويز؛ ليشـهد أَنَّ العرب ما كانوا ليحسبوا حسابًا لضخامة ملك الفُرس الَّذِين يريدون المكر بهم، وإِنزال الوبال عليهم.

وإِذا شـئت حدِّث، ولا حرج، عن يوم القادسيَّة الَّذِي جاء العرب فيهِ عنوة غازين وفاتحـين، فإِنَّهُ ما زال ظهر اليوم الَّـذِي انفجر صبحه عن (لَيْلَـةُ الْـهَرِير)[3]، حتَّى أَخذ

(١) كسرى الأوَّل ٥٠١هـ، المعروف أيضا باسم أنوشيروان العادل (بالفارسية: أنوشيروان دادگر) الروح الخالدة، واسمه كسرى أنوشروان بن قباذ بن يزدجرد بن بهرام جور. حكم الإمبراطوريَّة الساسـانيَّة ما بين ٥٣١ و٥٧٩ للميلاد، وقد اعتلى العرش بعد أبيه قباذ الأوَّل. وضع الأسـس لمدن وقصور، وبنى العديد من الجسـور والسـدود، في عهده ازدهرت الفنـون والعلوم في بلاد فـارس، وكانـت الإمبراطوريَّة الساسـانيَّة في قمَّة مجدها، وهـو أحد الأباطرة الأكثر شـعبيَّة في الثقافة والأدب الإيرانيَّين. ينظر ترجمته في: الكامل: ١/ ٣٩٩، تاريخ ابن خلدون: ٢/ ق١/ ٧١، العقد المنير: ٣٣.

(٢) يوم ذي قار، هو يوم هزمت به العرب العجم، وحدث في زمن النبيّ محمَّدﷺ، وقع فيه القتال بـين العرب والفـرس في العراق، وانتصر فيه العرب. وكان سـببه أنَّ كسرى أبرويز غضب على النعمان بن المنذر ملك الحيرة، وقد أوغر صدره عليه زيد بن عدي العباديّ؛ لأنَّه قتل أباه عدي بن زيد، فلجأ النعمان إلى هانئ بن مسعود الشيبانيّ، فاستودعه أهله وماله وسلاحه، ثمَّ عاد فاستسلم لكسرى، فسجنه ثمَّ قتله. وأرسل كسرى إلى هانئ بن مسعود يطلب إليه تسليمه وديعة النعمان، فأبـى هانئ دفعهـا إليه؛ دفعًا للمذمَّة، فغضب كسرى على بني شـيبان، وعزم على اسـتئصالهم، فجهَّـز لذلك جيشًـا ضخـمًا من الأسـاورة الفـرس، يقودهم الهامـرز وجلابزين، ومـن قبائل العرب الموالية له، من تغلب والنمر بن قاسـط وقضاعة وإياد، وولى قيادة هذه القبائل إياس بن قبيصة الطائيّ، وبعث معهم كتيبتَيه الشهباء والدوسر. فلمَّا بلغ النبأ بني شيبان استجاروا بقبائل بكر بن وائل، فوافتهم طوائف منهم، واستشـاروا في أمرهم حنظلة بن سـيَّار العجلي، واسـتقرَّ رأيهـم على البروز إلى بطحاء ذي قار، وهو ماء لبكر بـن وائل، قريب من موضع الكوفة. تاريخ اليعقوبيّ: ٢/ ٤٦، الأغاني: ١١/ ٩٠، تاريخ الطبريّ: ١/ ٦٠٠.

(٣) ليلـة الهرير: خاتمة حرب صفِّين، وهي ليلة الجمعة الحادي عشر سـنة ٣٨ للهجرة، وهي ليلة=

العرب راية أفريدون[١] العظمى الَّتِي تُسمَّى درفش كابيان[٢]، وكَانْتَ الفُرس تتيمَّن بها وتُظهرها عند الشِّدَّة، وقُتِل حولها عشرة آلاف مِن الفُرس، وأصيب قائِدهم الأكبر أسيرًا فقتيلًا، ومنح الله المُسلمين أكتاف المجوس يقتلون ويأسرون ويغنمون حَتَّى ظهر أمر الله وهم كارهون[٣]، فأين إِذًا دعوى هذا الباهت أَن معهُ علم الكابيان الَّذِي يفخر بهِ.

أَمَّا الأَوتار الَّتِي يطلبها هذا الفارسيّ عند العرب، فإِن جرمها محمول عَلَى عاتق

=تكسَّرت فيها الرماح، وتثلَّمت فيها السيوف، وانخفضت فيها أصوات الرجال، وتعبت فيها الخيل. امتشق فيها أميرُ المؤمنين عليه السلام سيفه ذا الفقار وامتطى فرسَ رسول الله صلى الله عليه وآله، وراح يضرب بسيفه، ويكبِّر مع كلِّ ضربة فيجندل فيها بطلًا، وبلغ عدد قتلاه ٥٠٠ قتيل، وبقي مشغولًا بالقتال حتَّى الصباح. وفي هذه الحرب استشهد جمع من رجال أمير المؤمنين عليه السلام، منهم عمَّار بن ياسر وأويس القرني وهاشم المرقال وابنه وخزيمة بن ثابت وصفوان بن حذيفة وعبد الله بن بديل وأخوه عبد الرحمن وعبد الله بن الحارث أخو مالك الأشتر (رحمهم الله جميعًا)، وهم كانوا خواصَّ أمير المؤمنين عليه السلام. وهلك جمع غفير من جيش معاوية، فقد دامت هذه الحرب ١٤ شهرًا، حتَّى انتهت بمكر عمرو بن العاص ونفاق جماعة كالأشعث بن قيس إلى التحكيم. وسمِّيت بهذا الاسم؛ لكثرة أصوات النَّاس فيها للقتال. وقعة صفِّين: ٤٧٥، تاريخ الطبريّ: ٣/ ٦٣.

(١) فريدون أو أفريدون أو آفريدون (ملقَّب به فريدون فرخ أي فريدون سعيد) بطل تشترك فيه أساطير إيران والهند كذلك. وهو الَّذي غلب الضحَّاك وقيَّده على جبل دماوند، أفريدون الملك قسَّم الأرض بين بنيه الثلاثة، فملك سلم، وهو شرم، على المغرب، فملوك الروم من ولده، وملك إيران، وهو إيرج، على بابل والسواد، فسمِّي إيران شهر، ومعناه بلاد إيران، وهي: العراق والجبال وخراسان وفارس، فملوك الأكاسرة من ولده، وملك طوج، وقيل: توج، وقيل: طوس، على المشرق، فملوك الترك والصين من ولده. معجم البلدان: ١/ ٢٨٩.

(٢) درفش كابيان: هي راية بلاد فارس الكبرى، ارتفاعها اثنا عشر ذراعًا، وعرضها ثمانية أذرع، مصنوعة من جلود النمر، ومرصَّعة بالذهب واللؤلؤ والجواهر النفيسة، لم تسقط في معركة منذ مئات السنين، وكان الفرس يعتقدون أنَّها لا تسقط أبدًا، إلى أن أسقطها العرب المسلمون في معركة القادسيَّة عام ٦٣٦هـ، وقطَّعوها ونقلوها إلى الخليفة عمر بن الخطَّاب في المدينة المنوَّرة، وبذلك انتهت أسطورة تلك الراية إلى الأبد. تاريخ الطبريّ: ٢/ ٦٣٩، البداية والنهاية: ٧/ ٣٤.

(٣) إفادة من قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾ التوبة: ٤٨.

الإسلام الَّذِي اجترف نفُوس الفُرس، وامتلك بلادهم، وسبى ذراريهم، واحتوى عَلَى أَموالهم وأَذلَّهم حَتَّى عزوا بالإِسلام وسلَّموا به[1].

إنَّ طرد القول في زندقة الشُّعُوبيَّة كان يدعو فيما سلف إِلى الطفرة عن زمن المتوكِّل العبَّاسيّ القتيل سنة ٢٤٧[هـ]، رغم الأَخذ بالتسلسل التاريخيّ الَّذِي يلزم بالوقوف قبل ساعة على الشُّعُوبيَّة الأَدبيَّة المزعومة للشَّاعِر المفلَّق عبد السَّلام الفارسيّ الحمصيّ الإِماميّ، المعروف بـ(ديك الجنِّ) المتوفَّى سنة ٢٣٥[هـ][2]، والمأثور عنهُ مِن الشِّعر لا يقضي بشعوبيتهِ، سوى مدحهُ لأَهل البيت النبويّ الطَّاهر[عليهم السلام]، وتفضيلهم على غيرِهِم بعقيدةٍ واطمئنانٍ، وليس ذلِكَ مِنَ الشُّعُوبيَّةِ الَّتِي حقيقتها تفضيل أحد العنصرَين على الآخر، أَو هي على ما في القاموس احتقار أَمر العرب؛ لكنَّ أبا الفرج[3] يحدِّثنا في كتابهِ (الأَغاني) أَنَّ (ديك الجنِّ) أَفرط ضدَّ العرب، وزعم أَنَّهم لا فضل لهم عَلَى الفُرس، وأَنَّهُ يقول: «نحن والعرب جميعًا من نسل إبراهيم[عليه السلام]. نحن والعرب جميعًا مسلمون. نحن والعرب جميعًا قد اقتتلنا، فقتل كُلٌّ مِن الفريقَين شطرًا وافرًا من الآخر»[4].

(١) الاعتدال، الحلقة الثالثة، السنة الثالثة، العدد السابع، ١٩٣٥م: ٤٠١-٤٠٦.

(٢) ديك الجنِّ: هو عبد السَّلام بن رغبان بن عبد السَّلام بن حبيب بن عبد الله بن رغبان بن مزيد بن تميم الكلبيّ الحمصيّ، شاعر عربيّ عبَّاسيّ، وُلِدَ عام ١٦١هـ في مدينة حمص، وتوفِّي سنة ٢٣٦هـ. ينظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء: ١١/ ١٦٤.

(٣) أبو الفرج الأصفهانيّ: هو عليّ بن الحسين بن محمَّد بن أحمد بن الهيثم المروانيّ الأمويّ: وأُمُّه شيعيَّة من آل ثوابة، كان أديبًا عربيًّا، ومن الأعلام في معرفة التاريخ والأنساب والسِّيَر والآثار واللغة والمغازي، ولهُ معارف أُخر في علم الجوارح والبيطرة والفلك والأشربة. ولأبي الفرج شِعر قليل، جيِّدُه في الهجاء، فقد كان هجّاءً خبيث اللسان، يتَّقيه النَّاس، وكان على تشيُّعه الظاهر، يراسل الأمويِّين في الأندلس، وحصل لهُ فيها مصنَّفات لم تنتهِ إلينا، فأجزلوا لهُ العطايا سرًّا. وُلِدَ في أصبهان، ونشأ وتوفِّي في بغداد سنة ٣٥٦هـ. تُنظر ترجمته في: سير أعلام النُّبلاء: ١٦/ ٢٠٢، النجوم الزاهرة: ٤/ ١٥.

(٤) لكن ما ذكره الشيخ الحِلِّيّ، يختلف عمَّا قال به الأصفهانيّ في كتابه الأغاني، حيث قال:=

وهَذِهِ المقالة تعرب عن شطر مِن عقيدة التسويَّة، لا مذهب الشُّعُوبيَّة، لولا جعله الفُرس صنوًا للعرب، وشعبة مِن فصيلةٍ واحدةٍ، هي إبراهيم خليل الرحمن[عليه السلام]، والَّذِي أَراهُ أَن الرجل يرمي بهَذِهِ الكلمةِ المموَّهة، إِلَى إثبات فارسيَّة إِسماعيل الَّذِي تسلسل منهُ جميع العرب العدنانيَّة.

إنَّ هَذِهِ المقالة يرغب الفُرس أَنفسهم عنها؛ لأنَّها تقرِّب فارسيتهم إِلَى زمن العروبة، وهم يرمون بها القهقرى إِلَى الزمن الأَبعد، ونحن إذا سالمنا الطبريّ و(ديك الجنِّ الحمصيّ) فقط عَلَى هَذِهِ المزعمة الواهنة[1]، فذلك لأنَّا لا نبخل بإبراهيم عَلَى أحد مِن البشر، وإنَّما نعتقد عروبته، الَّتِي سنقوم لإثباتها في موقف آخر، من هَذِهِ المجلة[2]، أمَّا الفُرس، فليكونوا أبناء من شاءوا غير مدفوعين عن إبراهيم[عليه السلام]، ولا عن غيره ممَّن يسبق بفارسيَّتهم إِلى ما قبل زمن إبراهيم[عليه السلام].

إنَّ كلمة الحمصيّ هَذِهِ مهما كانت زهيدة القيمة في التأريخ القديم، تُنبئ عن شعوبيَّة أَدبيَّة واغلة في أعماقِ قلبِهِ، وهي الَّتِي تحمله عَلَى نفي الفضل للعرب، وإلَّا فإنَّ إحدى الشُّعبتَين إذا كانت ذاويةً وذابلةً، لا يزدهيها كون أَختها غضَّة زاهيَّة، قد نمت نموًّا باهرًا، حتَّى استظَّل العالم تحت ظلِّها الوارف، إلَّا أَن يريد نفي فضل كافَّتهم عَلَى

=«ما للعرب علينا فضل، جمعتنا وإيَّاهم ولادة إبراهيم صلَّى الله عليه وسلَّم، وأسلمنا كما أسلموا، ومَن قَتل منهم رجلًا منَّا قُتل به، ولم نجد لله ﷻ فضَّلهم علينا، إذ جمعنا الدين». الأغاني: ١٤/ ٢٨٧.

(١) ذكر ابن أبي غدَّة المصريّ القلقشنديّ في كتاب النَّسب أنَّ الفرس مِن ولدِ فارس بن لاود ابن سام، أو مِنْ ولدِ فارس بن طيراش بن يافث، ثمَّ قال ووقع للطبريّ أنَّهم مِن ولد إسحاق ابن إبراهيم، قال في (العبر): ولا التفات إلى هذا القول؛ لأن ملك الفرس أقدم منْ ذلك. (م). صبح الأعشى: ١/ ٤٢٣.

(٢) يُشير إلى موضعهِ (الخليل بين العروبة والفارسيَّة)، المنشور في مجلَّة الاعتدال سنة ١٩٣٦م، في عددها الأوَّل.

الفُـرس، فإنِّي لا أرى أحدا حتَّى ولا شـعوبيَّة العرب يعتقد فضـل كافتهم، عَلَى أي أُمَّة مسلمة.

ليصدح الديك بأنَّهم والعرب، وأنَّهم[1]، فإنَّ العرب، وهم في الصحارى والقِفار، قد جُبِلوا على طباعٍ كريمةٍ، واختصُّوا بصفاتٍ ومواهبَ جمَّة، تفرِّقهم عن سـائِر الأُمم، وتوجِب تفوُّقهم على أيِّما أُمَّة، وهي لا تزال واغلة فيهم، مُنذ تأريخ العروبة المجيد، حَتَّى إذا جاء الإِسلام، وانتشر بادئ بدءٍ فيهم، زادت تلك المواهب صقلًا، وأحكمتها قوانينهُ فتلًا، وجعلتها في مسـتوى متوسِّـط بين طرَفَي الإغراق والتقصير، وكانت[2] مِن إحدى تلك المواهب المنحولة لهم في الأَزمنة الأَخيرة، نشر الرسـالة العظمى في العالم كلِّه، فإنَّهُ كان لهـم، وكَانْتَ تلـك الفتوح المتوالية الَّتِي لم تفز بمثلها أُمَّـة لليوم عَلَى أيديهم، وبهم، مِـن دون ظهيرٍ لهـم، غير الإِخلاص والصبر الَّـذِي طُبِعوا عليه، قامـت تلك الحروب الطاحنـة الَّتِـي دوَّخت الـروم واليونان والبربـر والأقباط والفُـرس والهنود وغيرهم، ومـا ذلك إلَّا لأَنَّ فيهـم مِن الصفات ما يؤهِّلهـم لتلقِّي تلك المواهـب، والقيام بذلِك الفضـل العالمـيّ الَّـذِي لم يذكر التأريـخ نظيره لأُمَّةٍ مِـنَ الأُمم، ربما يكـبر بعض الأُمم المسلمة غير العربيَّة.

أن يكـون الفضـل في إجابـة داعـي الخير للعـالم، ونشـره في الأُمم، والـذبِّ عنهُ بإخـلاص وصبرٍ نحـوًا من قرنَين، للعرب لا لغيرهـم؛ ومع أَن تلِكَ الدعـوة الَّتِي قام بنشرهـا ونصرها العرب تعلن المسـاواة بين الشـعوب، ولا تفضِّـل عربيًّا على فارسيّ، فـإنَّ بعضهم قد يسـوؤهُ أَن تلِك الدعوة المجيدة بإعلانها المسـاواة والأخـوَّة تتمُّ لعربيّ وعـلى أيـدي العرب؛ وهؤلاءِ بطبيعةِ الحـال لا يبالوا أن يقفوا إلى جنـب النِّحل الهدَّامة

(١) وردت أنَّـهم مكرَّرة.

(٢) في الأصل: (كان)، والصواب ما أثبتناه.

ليكيدوا العرب، ثُمَّ الإسلام؛ لأنَّهُ عربيّ بالدعاية والنصر، وإذا لَمْ يجدوا سبيلًا يومًا إلَى الكيد سياسيًّا، ظهرت شعوبيَّتهم بصورةٍ أَدبيَّة، فيقف أحدهم قائلًا: «نحن والعرب مِن فصيلةٍ واحدة»[1]، ويجاهر الآخر بأنَّا قد ملكنا العرب زمنًا، حتَّى ينتهي الأمر إلى التعابير بمثل أكل الضباب ورعي الغنم، هذا مِهيار الديلميّ يقُول في مدح أبي الوفاء[2]، وكلاهما فارسيَّان وكسرويَّان: [من الخفيف]

قومكَ الغالبونَ عزًّا وهمْ قو
مي على الأرضِ وهِيْ ماءٌ يمورُ
ملكوا النَّاسَ آمرينَ وما في النـ
ـاس إلَّا مستعبدٌ مأمورُ[3]

وإن أبا يعقوب إسحاق بن حسان بن قوهي الخرّميّ الصغديّ يقول مُفتخرًا: [من الطويل]

وإن أبي ساسانُ كسرى بن هُرْمز،
وخاقانُ لي، لو تعَلمينَ، نسيبُ
ملكنا رقابَ النَّاس في الشِّرك كلهم
لنا تابعٌ طَوْعُ القِيادِ جنيبُ[4]

لعمري إنَّ ملكهم لا ينكر، وإنَّ الأَعمال الَّتِي قاموا بها في تدبير الملك وتعميره والمزايا الصالحة الَّتِي كانت في الكثير منهم ممَّا لا يستهين بها عارف بالتأريخ، ولعلَّما تعلَّم

(١) لم أعثر على قائلها، لكن وردت كلمات في تاريخ العرب مرادفة لها منها: «المغول والمماليك من فصيلة واحدة».
(٢) أبو الوفاء كامل بن مهدي. يُنظر: ديوان مهيار: ٢/ ٥٦.
(٣) (تمور) بدل (يمور)، (الأرض) بدل (الناس). ديوان مهيار الديلميّ: ٢/ ٦١.
(٤) معجم البلدان: ٤/ ٣٠٠.

العرب منهم سياسة الملك، وتدبير الرعايا، وعمارة الأرض، ولذلِكَ لا نعدُّ مِن الشُّعُوبيَّة مدحهم، وإطراء محاسنهم بمثل قول مِهيار بعد البيتَين السابقين: [من الخفيف]

كُـلُّ خـوفٍ بهِـمْ أمـانٌ ومهـجـو
رِ خـرابٍ بـعـدلهـمْ مـعـمـورُ
أيُّ مجـدٍ يـضـمُّـنـا وفـخـارٍ
يـومَ أنـسـابـنـا إلـيـهِ تـصـيرُ
إنْ يـفـتـنـا الخـطـيـبُ والمـنـبر المنـ
ـصوبُ فـالـتَّـاجُ حظُّنا والسَّـريرُ[1]
حسبنا أنْ تـعـلَّـم المـلـكُ منَّـا
والسِّـيـاسـاتُ فـيـهِ والـتَّـدبـيرُ
وكـفـيـنـاهُ أمـرَ رسـتـمَ في الحـر
بِ إذا عـدِّدَ الـرِّجـالُ الـذُّكـورُ
والَّـذي قـد سـقـى مـنَ الـدَّمِ ذو الأكـ
ـتـافِ حـتَّـى روَّى الـثَّـرى سـابـورُ[2]

ولكن هل ملكوا العرب يومًا فيمن ملكوه مِن الأُمم، كما امتلكوهم واستعبدوهم في أنَّ العـرب قد كانوا ممتنعين عند منابت الشَّـبح ومهـافي الريح عن جميع الحكومات، سـيَّما وهي لا تتهالك على السـيطرة على بوادٍ مترامية، بعيدة عن العمران، لا غرس فيها ولا زرع، ولا صـادر ولا وارد ولا كُلّ شيء سـوى الماشـيَّة وما تنبتـهُ الأَرض لرعيها؛ بيـد أنَّ القبائِل المتاخمـة في منازلها للفرس والـروم ذات العلائق الوثيقـة بهم؛ كالمناذرة

(١) يُشـير بهذا إلى ملكهـم العراق في أيَّام (الديالمة)، وإلى أنَّ الخلافة العبَّاسـيَّة فيه لا حظَّ لها يومئذ سوى الخطبة عَلَى المنبر في الجمعات والأعياد. (م).

(٢) ديوان مهيار الديلميّ: ٢/ ٦١.

في العراق، والغساسنة في الشام، كانت تستمدُّ الرعايَّة منهما بطبيعة المجاورة وفخامة الملك، ولكنَّها مع ذلك كانت محتفظة بكرامتِها وحريَّتِها، مدافعة عنهما بإباء ونخوة، لا يقفُ أَمامها أيُّ مسيطر قادر في ذلِك الوقت، وإِن كانت الحرب عندما يعتلَّق الشرُّ سجالًا بينهم يومًا لهم على كسرى أبرويز[١]، ويومًا يظفر بهم سابور[٢] ذو الأكتاف، ولعلَّ ذلِك هو ما يعنى مِن قول المتوكِّل:

«**ملكنا كُم عَنْوَةً بالرماح**»[٣].

أمَّا الصغدي القائِل: «**ملكنا رقاب النَّاس**»[٤]، فلعمري أَنَّهُ بالضدِّ ممَّا يتحرَّض عليهِ الكتاب مِن الرمي بالشُّعُوبيَّة الأثيمة بِكُلِّ مظاهرها.

(١) كسرى الثاني أو خُسرو الثاني، المعروف أيضًا بلقب برويز ومعناه (المظفر)، كان ملك الدولة الساسانيَّة في بلاد فارس. كان ابن هرمز الرابع، وحفيد كسرى الأوَّل. بدأ خسرو الثاني عهده بمحاولة الحفاظ على السلام مع بيزنطية، وكان صديقًا للأمبراطور البيزنطيّ موريس، ولكن لمَّا قتل موريس سنة ٦٠٢، قرر خسرو الانتقام لصديقه، فغزا سوريا وآسيا الصغرى، وفي عام ٦٠٨ كادت قوَّاته تدقُّ أبواب العاصمة القسطنطينيَّة نفسها. يُنظر: البداية والنهاية: ٢/ ٣٢٩.

(٢) شابور الثاني أو سابور ذو الأكتاف: هو أحد ملوك الفرس، وهو سابور بن هرمز بن نرسي. هو الملك الوحيد في تاريخ الساسانيِّين الذي تمَّ تتويجه وهو في رحم أمِّه، وقد تمَّ وضع تاج الملك على بطن أمِّه. وُلِدَ شابور ملكًا، وأثناء شبابه كانت الإمبراطوريَّة الساسانية تحت سيطرة أمِّه والنبلاء في الدولة، فانتشر بين العرب والروم أنَّ ملك الفرس صغير، فطمعوا في المملكة الساسانيَّة، وفي تلك الفترة غلبت العرب على سواد العراق. وكان أغلبهم من ولد إياد بن نزار، وكان يُقال لها طبق؛ لإطباقها على البلاد. وملكها يومئذ الحارث بن الأغرِّ الإِياديّ، فلمَّا بلغ شابور ستَّة عشرة سنة، أعدَّ أساورته للخروج إليهم والإيقاع بهم، وكانت إياد تصيف بالجزيرة وتشتو بالعراق. تُنظر ترجمته في: تجارب الأمم: ١/ ١٤٧، مروج الذهب: ١/ ٢٨٦.

(٣) وتمام البيت:

ملكنا كُم عَنْوَةً بالرماح ... طعنًا وضربًا بسيفٍ خَذِمْ

يُنظر: معجم الأدباء: ٢/ ١٨.

(٤) وتمام البيت:=

إنَّ ياقـوت الحمويّ يُنبئنا عن الصفديّ: أنَّهُ عندما كان بأرمينيَّة، وَقَدْ غزاهَا خاقان الـترك، عقد لهُ عثمان بن خزيـم، وهو واليها، على أَصحابهِ[1]، وعَـلىَ أَشراف مَن معهُ؛ فكرهوا ذلِكَ[2].

أَجـل، إنَّهـم كرهـوا ذلِك وكرهـوه؛ لأنَّهم عـرب ويأبون لأَبعـد غايَّـة أَن يكُون الفارسيّ أَميرًا عليهم في حرب إِسـلاميَّة، فلذلِك قال: «**أَبا الصغد باس إِذ يعيرني جمل**» الأَبيات الَّتِي مرَّت، وقلنا فيما سلف إِنَّها تمثِّل الفارسيَّة المدافعة، المطالِبة بالنصفِ، وترك الاسـتطالة والتطرُّف في الفخـر والمفاضلة، وهي تلِك أَبياتهُ المـارَّة تصرِّح بأنَّهم كرهوا إمرته لصغديَّته لا لغيرها.

ولا غرو إذا اكتظَّ على قلبهِ بعد هذا عِرق الفارسـيَّة الَّذِيَ لا يزال ضاربًا، وهو مِن أَبناء كسرى وخاقان معًا، أَن يقُول دافعًا عن نفسهِ احتقار العرب: [من الطويل]

ونـادَيْـتُ مِـن مَـرْوٍ وَبَـلْـخٍ فـوارسًـا
لهـم حَـسَـبٌ في الأَكـرمـين حسـيـبُ[3]
فـيـا حـسـرتـا! لا دارُ قـومـي قـريـبةٌ
فـيـكـثـرُ مـنـهـم نـاصري فـيُـطـيـبُ[4]

ملكنا رقـاب النـاس في الشِّـرك كله لـنـا تـابـع طـوع الـقـيـاد جنيب

يُنظر: معجم البلدان: ٤/ ٣٠٠.

(١) المثبت في معجم البلدان: (الصحابة). (م). يُنظر: معجم البلدان: ٣/ ٤١٠.

(٢) يُنظر: معجم البلدان ٣/ ٤١٠.

(٣) ذكره مع بلخ مروًا لأَنَّهُ قطنها وبها أهله وعشيرته وذلك حيث يقول:

رسـا بـالـصـغـد أصـل بـنـي أبـيـنـا وأفـرعـنـا بـمـرو الـشـاه جـان
وكـم بـالـصـغـد لي مـن عـم صـدق وخـال مـاجـد بـالجـوز جـان

(م). يُنظر: معجم البلدان: ٤/ ٣٠٠.

(٤) حسرتا: في الأصل: (حسرة)، فيطيب: في الأصل: (وطيب).

وإِن أَبي ساسانُ كسرى بن هُرْمز،
وخاقانُ لي، لو تَعَلمينَ، نسيبُ
مَلكنْا رقابَ النَّاس في الشِّرك كلهم
لنا تابعٌ طَوْعُ القِياد جنيبُ
نَسُومُكُمُ خَسْفًا ونقضي عليكمُ
بما شاء منّا مُخطئٌ ومُصيبُ
فلمّا أتى الإسلامُ وانشرحَتْ لهُ
صدورٌ بهِ نحو الأنامِ الآله تُنيبُ
تَبِعنا رسولَ الله حَتَّى كأنّما
علينا سماء بالرجاء تَصُوبُ[1]

وهذا هو الشِّعر الَّذِي تقطر منهُ روح الطمأنينة والإيمان، والاستمساك بحقائِق التأريخ الَّذِي هو نفسهُ يفاضل بين حالَتِي العرب والفُرس، قبل الإسلام وبعده، في الملك وسعة المملكة ووفور القوَّة وشدَّة السطوة، فيسلِّم أزمة الملك إِلَى الفُرس والروم قبل الإسلام، أمَّا بعده، فإنَّهُ يعترف بسيادة العرب عَلَى الأُمم، واستقلالهم بالملك دونهم، وليس في هذا تفضيل لغير العرب عليهم، ولكنَّ الكثير مِن كُتَّاب العصر مِن فرس وعرب، وهم لا غيرهم الشُّعُوبيَّة، كلَّما رأوا فارسيًّا أَو عربيًّا فخورًا ولو بأبيهِ الملك الفارسيّ أَو العربيّ، ضاعفوا فيهِ أَرقام الشُّعُوبيَّة، كأنَّهم يرون أَن الشعوبيّ هو الفخور، وإِن لَمْ يفضِّل أُمَّة عَلَى أُمَّة، وكذلِك هم يعصبون الشُّعُوبيَّة برأس مَن يذمُّ فردًا أَو طائِفةً مِن أُمَّةٍ إِذا كان هو مِن أُمّةٍ أُخرى، كالمتنبِّي[2] حينما يذمُّ الفُرس في (شعب

(١) الَّذي وجدته بالرجال تصوب ولهُ وجه وجيه. (م). يُنظر: معجم البلدان: ٤/ ٣٠٠.
(٢) المتنبي: أبو الطيِّب المتنبِّي (٣٠٣هـ-٣٥٤هـ)، هو أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفيّ أبو الطيِّب الكنديّ الكوفيّ المولد، نُسِب إلى قبيلة كندة نتيجة لولادتهِ بحيِّ تلك القبيلة=

بـوان) وكمِهيار الديلميّ حينما يتمـدح بأبيهِ كسرى ملك فرس، حتَّى لقد طبعوهُ بطابعِ الشُّعُوبيَّة حينما قال: [مجزوء البسيط]

مِـــن حـــاضري المـلـك لَمْ تـدسـهـم
في الـــبـــدو مـــسـتـــافـــةُ الـــرمـــالِ
وَلَمْ يَـسْـمـهـم انـقـلاب الـ
ـجـنـوبِ عـنـهـم إِلَى الـشَّـمـالِ[1]

مـع أَن هـذا، وإِن كان الممـدوح بهِ فارسيًّا، يفضِّل الحـواضر وما يلزم سـكناها مِـن الترف، عَلَى الباديَّة ومشـاقّ الإِقامـة فيها، مِن نحو التعـرُّض لأَتربة الرياح، ولفح الهواجر، وكذلِك هم وَسَموا بالشُّعُوبيَّة جبين مَن يقول: [من الوافر]

وَلَـسْـتُ بِـتَـارِكٍ إِيـوَانَ كِـسْرَى
لـتـوضـح أَوْ لِـحَـوْمَـل فَـالـدخـولِ
وَضَـبٍّ في الـفـلا سَـاعٍ وذئـبٍ
بهـا يـعـوي ولـيـثٍ وَسْـطَ غِـيـلِ[2]

وهـذا في الحقيقـة ينـدِّد بقسـم مِنَ الشِّـعر العـربيّ، ولا يعرض للعـرب بقدحٍ ما، ولا يتعـرَّض لامتداح الفُرس وتفضيلهم، ولعلَّـما كان ذكرهُ لإِيوان كسرى، لأَنَّهُ أَعظم البنايات الأَثريَّة الَّتِي رآها العرب والفُرس، وإِنِّي لا أَرى الشَّاعِر الحضريّ بهذا التنديد،

=في الكوفة، لا لأَنَّهُ منهم. عاش أفضل أيَّام حياته وأكثرها عطاءً في بلاط سيف الدولة الحمدانيّ في حلب، فنظم أوَّل أشـعاره وعمره تسـع سنوات، واشـتُهِرَ بحدَّة الذكاء واجتهاده، وظهرت موهبته الشـعريَّة مبكِّرًا، قُتِل سـنة ٣٥٤هـ. تُنظر ترجمته في: تاريخ بغداد: ٤/ ٣٢٥، سـير أعلام النبلاء: ١٦/ ١٩٩.

(١) في الديوان: (منهم) بدل (عنهم). ديوان مهيار: ٣/ ٤٧.

(٢) القصيدة لشاعر فارسيّ، قالها ليفضِّل العجم على العرب. الدرُّ الفريد: ٧/ ١٣٤.

شـاذًا عن الجادة السـويَّة؛ لأنَّ الحضارة الَّتِي يتمتَّع بها أَهل المدن تنفر أَيّما نفور عن ذلِك النسـيب الناشـف، المتضمِّـن لذِكر المجاهـل المترامِيَّـة والقفار القاحلـة كمثل توضح وحومل والدخول، الَّتِي يذكرها امرؤ القيس[1] ملك الشُّـعراء، فيما يقولون في غزليَّاتِهِ، ولو أَنَّهُ ذكر رياضًا زاهيَّةً وأَنهارًا مُتدفقةً، وقصورًا شامخة، وحورًا وولدانًا؛ لما عابه عليهِ أَحـد، وقِس عَلَى هذا ذِكـر الضبِّ والذئب والليث والفيل، الَّتِـي لا يعرف البدوي وَلَمْ يُشـاهد سـواهَا وسـوى النؤي والوتد والرحل والقتب، هذا في حـين أَن العربي يفخر قائِلًا: «مِن نسل شيبان بين الضال والسلم»، والعربيَّة تقول: [من الوافر]

وبـيـتٌ تخـفـقُ الأَرواحُ فـيـه
أحـبُّ إليَّ مـن قـصـرٍ مُـنـيـفِ
وَلُـبْـسُ عَـبَـاءةٍ وَتـقَـرَّ عَـيْـنِـي
أحـبُّ إليَّ مـن لـبْـسِ الـشُّـفُـوفِ[2]

ها أنا ذا، ولسـت بفارسيّ ولا شـعوبيّ، أَفضل سـائر الشِّـعر المنحط الطبقة، ما لم يكـن متفـكِّك النظم عَلَى قول الملـك الضلِّيل الَّذِيَ بـه التعريض في البيتَين السـابِقَين: [من الطويل]

قِفـا نَـبْـكِ مِـنْ ذِكْـرَى حَبِـيـب ومَـنْـزِلِ
بِسَـقْـطِ الـلِّـوَى بـينَ الـدَّخُـولِ فـحَـوْمَـلِ

(١) امـرؤ القيس بن حجر بـن الحارث بن عمرو المقصور بن حجر آكل المـرار بن معاوية بن ثور، وهو كندة بن مرتع بن مالك بن زيد بن كهلان بن سـبأ بن يشـجب بـن يعرب بن قحطان، بَرز في فترةِ الجاهليَّة، ويُعدُّ رأس شـعراء العرب، وهو من قبيلة كندة. يُعرَف في كتب التراث العربيَّة بألقـاب عدَّة، منهـا: المَلِكُ الضِّلِّيـل، وذو القروح، وكُنِّي بأبي وهـب، وأبي زيد، وأبي الحارث. للمزيد ينظر: امرؤ القيس حياته وشعره: ٥١.

(٢) البيتان لميسون بنت بجدل (الكلبيَّة). يُنظر: خزانة الأدب: ٨/ ٥٠٥.

فتوضح فالمقراة لم يَعفُ رسمها
لما نسجتْها من جَنُوب وَشَمْأَلِ[1]

إِني أَحكم عليه بذلِك الحكم لا لذكره تلِك الأَماكن الَّتِي كان لها الكيل الوافي في وقتهِ- ولشعر أغلب ما ينظم لوقته لا لزمن يأتي عليهِ - بل لأَنَّهُ ما جاء بمعانٍ عميقةٍ ولا بصنيعةٍ بديعةٍ ولا بألفاظٍ جزلةٍ في بيتين مِن أَطول بحور الشِّعر، وما علقوا عليهِ وسام «وقف واستوقف وبكى واستبكى وذكر المنازل والأَحبة»[2] إِلَّا إبقاء عَلَىَ أَبَّهته، وسترًا لسخافة المعنى الَّذِي زعم أَنَّهُ أبدع في نظمه.

إِن هذا القسم مِن الشِّعر العربيّ، وهو الشطر الأَوفر مِنَ الشِّعر القديم ما عاد على المجتمع القوميّ، ولا على الأَدب العصريّ بفائِدة، سوى أَنَّهُ تضبط منهُ اللغة، وأسماء الأماكن ونزرٌ مِن التراكيب، كما يؤخذ ذلك كلُّهُ مِن قواميس اللُّغة، ومعاجم البلدان، وعلينا اليوم أَن ندخرهُ في متحف الآثار القديمة، ليحكي لنا صورة مختصرة ممَّا عليه العرب مِن السذاجة والبساطة، وما في نفسيَّاتهم مِن النوازع الجميلة للإباء والفروسيَّة والعفَّة والسماحة، وما يشابه ذلك مِن صفات المجد الفخمة، وربَّما نستفيد منهُ شيئًا مِن التراكيب الجزلة الَّتِي لم تهجر، وَقَدْ استطردت في هذا عن القصد، وسوف أَعود إِليهِ إِن شاء الله فيما يلي[3].

لم أَكن أَقصد الاستيفاء فيما أَخذتهُ عَلَى نفسي بادئ بدء مِن ذكر الشُّعُوبيَّة في القرنين، سوى أَن تهجُّمَ البعضِ مِنَ الكُتَّاب على أَبي نواس الحسن بن هاني الحكميّ البصريّ، المتوفَّى على أَكثر الآراء في آخر سنة ١٩٩[هـ]، وعلى أبي الطيِّب المتنبِّي أَحمد بن الحسين الجعفيّ، المتوفَّى سنة ٣٥٤[هـ]، وعلى كثير غيرهما بالشُّعُوبيَّة، يدعو إِلى إِطالة ما في

(١) ديوان أمرؤ القيس: ٨.
(٢) خزانة الأدب: ١/ ٣.
(٣) الاعتدال، الحلقة الرابعة، العدد الثامن، ١٩٣٦م: ٤٩٤-٥٠٠.

البحث عن أَولئك المزعومة[١] شعوبيَّتهم، وليس ذلِك التحكُّم وذلِك اللمز منبعثًا عن غموض معنى الشعوبيّ، بل لأنَّ المُتنبِّي هجا قومًا مِن الفُرْس في (شعب بوان)[٢]، لمَّا لم ترق لديهِ أَخلاقهم، وهو في نفسهِ هجَّاء مُقذع، والبصريّ كان مِن أَنصار أَبي عبيدة الشعوبيّ[٣]، ومفضِّليه عَلى الأصمعيّ[٤]، وإنَّهُ يقُول في إِحدى مشهوراتهِ[٥]: [من البسيط]

قالوا ذكرت بهذا الحي مِن أَسدٍ
لا دُرَّ درك، قُلْ لي مَن بنو أَسدِ؟
وَمَنْ تميمٌ وَمَنْ قَيْسٌ ولفهما
ليس الأعاريبُ عند الله مِنْ أَحَدِ

وما آل هذا الرأي إِلى توهُّم أنَّ نوعًا مِنَ التهجين والإطراء مظهر للشعوبيَّة، وهو الَّذِي أحاول تفنيدهُ.

[أبو نواس وشعوبيَّته]

إنَّ أبا نواس فيما يُؤْثَر عنهُ يخلط الجدَّ بالهزل، ولا مبدأ لهُ يسير عليهِ سوى الخلاعة والمجون وشرب الخمر، وهذا أثبت مبادئِهِ، وكما هو ولع ومستهتر بمعاقرة الخمور،

(١) في الأصل: (المزعوم)، الصواب ما أثبتناه.
(٢) أرض بفارس تقع بين أرجان والنوبندجان، وهي أحد متنزَّهات الدنيا المعروفة بالحُسن والطِّيب والنزاهة وكثرة الأشجار وتدفُّق المياه وأنواع الأطيار. أشار أبو الطيِّب إلى ذلكَ بقولهِ:
يَقُولُ بِشِعْبِ بَوَّانٍ حِصَانِي أَعَنْ هَذا يُسَارُ إلى الطِّعَانِ
يُنظر ديوانه: ٥٤١.
(٣) مرَّ ذكره.
(٤) مرَّ ذكره.
(٥) ديوان أبي نواس: ١٨١.

هـو ولع بذمِّ الأعراب، وتهجينهم، والإزراء بطرائِقهم وعاداتهم، شـأن كُلِّ مُنغمسٍ في التَّـرفِ، متمتِّعٌ بأوفر نصيب من الحضارة، وكيف لا ينتقد أَرقى وأَرق عادة لهؤلاءِ مَن تطـوَّرت بـهِ الحال إِلى منادمة الرشـيِّد والمأمون؟ وهو في نفسـهِ خليـعٌ ماجنٌ، لكن مِن يتصفَّح أهاجيه لهم يعرف لأوَّل نظرة أَنَّهُ لا يريد منهم إِلَّا سكان الباديَّة، وهم الأَعراب، بنـصِّ معاجم اللُّغة، دون مطلق العرب، ودون سـكَّان الأَمصار، وليس مِن الشُّـعُوبيَّة في شيء تهجـين أَولئـك بذِكر الذَّميم مِـن صفاتهم، والغريب مِـن طريقتهم المتعارفة في قرض الشِّـعر الغزليّ المتضمِّن للبُّكاء عَلَى الأطلال، والحنين للنؤي والأَوتاد، والتلهُّف لمـرأى حـرَّة قاحلـة، ورمال لا تنبـت إِلَّا الطلح والسـلم، أَو أَعرابيَّة قشـفة لا رواء لها ولا جمال.

لأوَّل نظرة في قصيدة أبي نواس[1] المستهلَّة بقولهِ:

«دعِ الرَّسْمَ الذي دثَرَا»[2]

تعـرف أَنَّهُ ليس فقط يريـد الموازنة بين ترف الحضارة، وخشـونة البـداوة، بل ذمّ الأعراب في مطاعمهم ومشـاربهم، وكثير مِن أحوالهم وعاداتهم، وخاصَّة طريقتهم في النسـيب والغزل، وكذا قصيدته الأخرى الَّتِي ينتقد فيهـا أزياءهم أيضًا ولغتهم، بقوله مِنْهَا: [مجزوء الوافر]

مِـــن الأعـــــراب قـــد محنـت

ضـــواحـــي حـــلـــده الـــبُـــجُـــدِ[3]

(١) أبو نواس أو الحسن بن هانئ، مرَّ ذِكره.

(٢) وتمام البيت:

دعِ الـــرَّسْـــمَ الـــذي دثَـــرَا يـــقـــاسي الـــرِّيـــحَ والمـــطَـــرَا

ديوانه ٣٣٨.

(٣) محنت بالعلوم، أي أخلقت، والبُجُد بضمَّتَين جمع بجاد ككساء وزنًا ومعنى. (م).

إذا مـــا قُـــلـــت كـيـــف الـعـيـــ
ـــش قـــال شـــرٌّ نـبـــثٌ نـكـــدِ[١]

هكـذا كان أبو نواس، وهكذا أثَّرت فيـهِ البيئة الَّتِي عاش فيها، وهكذا جعل ذلِكَ الخليـع الماجن طريقة الاسـتخفاف بالمعـاني المألوفة للأعـراب في أناشـيدهم الغراميَّة منهاجه الوحيد إلى التخلُّص لذِكر محبوبتهِ- الخمر- في كثير مِن خمريَّاتهِ اللاتي نسـتغني عن نشرها بشـهرتها، وهَذِهِ طريقة لم يبتدعها أبو نواس، بل سـبقه إليها مَن يقُول: [من الخفيف]

خَـــلِّ لـلأشـقِـيـاءِ وَصْـــفَ الـفَـيـافي
واسْـقـنـيـهـا سُـــلافَـــةً بـــسَـــلامِ[٢]

ولكنَّهُ أكثرَ منها، وأفحشَ في اسـتعمالها؛ وربَّما تطـرَّف وخفَّ به المجون إلى تهجين الأعراب في مطاعمهم ومشاربهم، وأزيائهم، ونابتات أرضهم.

ومـا هـبَّ عليهـا ودبَّ، ونحـو ذلك ممَّـا لا يحمل أن يـذمَّ عليه أحـد، فضلًا عن الأعـراب؛ ليتخلَّص بذلك إلى محبوبتهِ الحمقاء، وها هو ذا في إحدى مشـهوراتِهِ، بعدما استخفَّ بالرسوم، وركوب الكوم[٣]، ونهى عمَّا شاء، قال: [من الوافر]

ولا تـأخـذ عـن الأعـــــرابِ لهـــوًا،
ولا عـيـشًـا فـعـيـشُـهُـمُ جَـديـبُ
ذر الألـبـــان تـشـــربُهـا رجـــالٌ،
رقـيـقُ الـعـيـشِ عـنـدهـم غـريـبُ[٤]

(١) الشرّ نبث الغليظ. (م).
(٢) ديوان أبي نواس: ٥٥٦.
(٣) آلة أشبه بالسيَّارة، وهناك منطقة في سوريا تُعرَف بالكوم.
(٤) (ذر): في الديوان: (دع).

بـــأرض نـبـتـهـا عُـــشـــرٌ وطـلـحٌ،
وأكـــثـــرُ صـيـدهـا ضـبـعٌ وذيـــبُ[1]
إذا راب الحـلـيـبُ فَـبُـلْ عـلـيـه،
ولا تُحـــرَج فـــما في ذاكَ حُـــوبُ
فـأطـيـبُ مـنـه صـافـيـةٌ شـمـولٌ،
يـطـوفُ بـكـأسـهـا سـاقٍ أديـــبُ[2]

وَمِـن هذا البحر يغترف الرواء والرونق الصناعيّ المجونيّ لأبياتِهِ الشُّعُوبيَّة الآنفة، فإنَّهُ استهلَّها بالاستخفاف بالأَعراب عَلَى طريقته المجونيَّة، حتَّى انتهى إِلى ذِكر طائفة منهم، وقفوا لهُ على طريق القافية، فزعم مبالغة في تهجين كافَّتهم. والإزراء بطريقتهم أنَّهم ليسوا بشيء، فكيف يعتني بفعلٍ لهم أو عادة، وها هي الأبيات[3]: [من البسيط]

عـاج الـشـقـيّ عَـلَى رسـمٍ يُـسـائِـلُـهـا،
وجـئـت أســأَلُ عـن خَمَّـــارَةِ الـبـلـدِ[4]
يـبـكـي عَـلَى طـلـل المـاضـين مِـن أَسـدٍ
لا درّ درّك قـلْ لي مِـن بـنـو أســدِ[5]؟
وَمَـــنْ تمـيـمٌ، وَمَـــنْ قـيـسٌ ولـفّـهـا،
لـيـس الأعـاريـبُ عـنـد اللهِ مِـنْ أحَـدِ[6]

(١) (بأرض): في الديوان: (بلادٌ).
(٢) ديوان أبي نواس: ٣٥ ٣٦.
(٣) في الأبيات اختلاف وتغيير وتقديم وتأخير في النسخ، لكنَّه لا يخلُّ بالغرض المقصود. (م).
(٤) (رسم): في الديوان: (دار).
(٥) صدر البيت في الديوان: (قالوا ذكَرْتَ ديارَ الحيّ مِنْ أسدٍ).
(٦) (ولفها): في الديوان: (وإخوتُهُمْ).

لا يُـرقـئُ الله عـينَي مَـنْ بكى حجرًا
ولا شفَى وَجْـدَ مِـن يصبو إِلَى وَتَـدِ[١]

كـم بَـيْنَ مِـن يـشـتري خمـرًا يـلـذّ بها
وبـين بـاك عَـلَى نـؤيٍ، ومُـنْـتَـضَـدِ[٢]

دَعْ ذا فـقـدتـك واشْرَبْهـا مُـعـتَّـقـةً
صَـفْـرَاءَ تـفـرقُ بـينَ الـروحِ والجـسـدِ[٣]

وربـما يتمثَّـل هذا جليًّـا بالالتفات إِلى أن هـذا الأديب الخليع مِن بعـد ذمِّه لعيش الأعـراب ونابتات أرضهم، ارتقى بنفس تلك الطريقة الهزليَّـة المجونيَّة إِلى الطير الَّذِي يألف منازلهم، والحيوان الَّذِي يدرُّ العيش عليهم، وذلك أنَّهُ فيما استهله بقوله:

«سقيًا لغير العلياء فالسند»[٤]

لـمَّا انتهى إِلَى ذكر منازل الأعراب، ودَّ أن لا يسقيها السحاب، ثُمَّ قال فيها[٥]: [من المنسرح]

إنْ أَتحـرز مِـنْ الـغُـراب بهـا،
يـكـن مـفـري مـنـهُ إِلَى الـصُّـرَدِ[٦]

(١) صدر البيت في الديوان: (لا جفَّ مدمع مِنْ يبكي عَلَى حجر).
(٢) صدر البيت في الديوان: (كم بين ناعت خمر في دساكرها).
(٣) فقدتـك: في الديوان: (عدمتك)، تفرق: في الديوان: (تعتق)، الروح في الديوان: (الماء). يُنظر: ديوان أبي نواس: ١٨١.
(٤) وتمام البيت:
سـقـيـا لـغـيـر الـعـلـيـاء فـالـسـنـد وغـيـر اطـلال مـي بـالجـرد
يُنظر: ديوان أبي نواس: ١٨٢.
(٥) يُنظر: ديوان أبي نواس: ١٨٢.
(٦) الصُّرَد بضمِّ الصاد وفتح الراء: طائر معروف. (م).=

بـحـيـثُ لا تجـلـبُ الـفـجـاجُ إلى
أُذْنَـيْـكَ إلَّا نـصـايُـح الـنَّـقَـدِ[1]
أحـسـنُ عـنـدي مِـن انـكـبـابِـكَ بالـ
ـفِـهْـرِ مُـلـحًـا بـهِ عَـلَى وتـد[2]
وقـوفُ ريحـانـةٍ عَـلَى أذُن،
وسـيـر كـأسٍ إلَى فـمٍ بـيـدِ[3]

هـذا عَـلَى طوله ذكرتـه للإقناع بأنَّ مـا أكثر منهُ أبـو نواس مِن تهجـين الأعراب، لا يكُون دليل شعوبيَّته كما يراه القاصرون، وإلَّا فالحقيقة أنَّ أبا نواس وغيره عربيًّا كان أو مولًى، لا يكُون شعوبيًّا ضدَّ العرب مهما ذمَّهم ما لم يفضِّل الفُرس عليهم، وإلَّا كثرت أرقام الفارسيِّين مِن العرب.

ونحن إذا اسـتقرأنا شعر أبي نواس حرفًا حرفًا، لا نجد فيهِ مِن مدح الفُرس شيئًا، فكيف تفضيلهم، بل إنَّا لا نجد ذِكرًا لهم في غير خمريَّة واحدة مِن شعرهِ، زعم فيها أنَّهم لا يفخـرون في حال ما عَلَى أحد، بل يتذلَّلون لـهُ، وأنَّ العرب يبذخون على الندمان إذا تمشَّـت الخمر في مفاصلهم، وإنِّي أرى لو عُدَّ أبو نواس مِن الشُّـعُوبيَّة [لوجب] أن يعدَّ مِن قَبله السَّـيِّد الشَّـريف الرضيّ[4] منهم، وإن تأخَّر زمانه؛ لأنَّهُ أفرط في مدح الديالمة

=ينظر: لسان العرب: ٣/ ٢٤٩.
(١) النقد بالتحريك [جِنْس من] الغَنَم. (م). لسان العرب: ٣/ ٤٢٦.
(٢) الفهر الحجر. (م). لسان العرب: ٥/ ٦٦.
(٣) الظاهر أنَّ ريحانة اسـم جارية مغنِّية، ولو أراد النبات المعروف، لكان الأنسـب أن يقول: (على قدم)، بدل (على أذن). (م).
(٤) الشَّـريف الرضيّ: هُوَ السَّـيِّد عليّ بن الحسين بن موسـى بن محمَّد بن موسى بن إبراهيم ابن الإمام موسى الكاظم ابن الإمام جعفر الصادق عليهم السلام. المُلَّقب بالشريف الرضيّ. وُلِدَ فِي بغداد سنة ٣٥٩هـ، ونشأ فِي بيتٍ علويٍّ طاهر، وعلميٍّ عريق، وقد ردس أوَّليَّات العلوم وأخوه الشريف=

مِن (بني بويه)، وكذا أبو الطيِّب المتنبِّي، ولقد غالى الشَّريف مع ذلك في إطراء الأكاسرة مِـن الفُرس، بما لا يقـصر عن مدحه للعـرب، وللخلفاء منهم، بل إنَّـهُ بالغ في تهجين بعض العرب حين يقُول فيهم: [مجزوء الرجز]

مَـــــنْ كـــــان راعـــــي أمـــة
أجـــهـــل مِـــــنْ راعـــــي الـغـنـم
مـــــا بـــيـــنـــهـــم والمـــكـــرمـــا
ت نـــســـبٌ ولا رحـــــم[1]

أفيكون الشَّريف بذلك شعوبيًّا؟! كلَّا.

فـإذًا، أبو نؤاس ليس بشـعوبيّ مِن ناحيَّة شـعره، وأمَّا مِن جهـة نصرتِهِ لأبي عبيدة الشـعوبيّ- عَـلَى ما يقُولـون- فإنَّهُ كان يفضِّله عَـلَى الأصمعـيّ في الأدب وإتقان اللُّغة والعربيَّة[2]، ولا ينصر شعوبيَّته، كما أنَّ أبا عبيدة يفضِّلهُ عَلَى جميع الشُّعراء؛ لولا تهتُّكه، وهو مع ذلك التفضيل المتبادَل لم ينزجر عن تهجينه، فكيف الأصمعيّ الَّذِي لم يزل ماقتًا لهُ، ويسـمِّيه دعيّ بني أصمع، ويتخرَّص عليهِ الكذب على العرب في أقاصيصه عنهم، وفي شوارد اللُّغة المسموعة لهُ منهم.

وإذا كان هجـاء أبي نـواس الشـعوبيّ ينفـي شـعوبيَّته، أو يلحقهـا بالمهـازل المجونيَّـة عـلى الأقـل، فهـا هـو ذا يهجـو أبـا عبيـدة، ويقذفـه بـما اشـتُهِر عنـهُ في

=المرتضي على ابن نباتة وابن جنّي إلى أن تأهَّل لحضور دروس شيخ الأُمَّة المفيد، وقصَّة تتلمذهما على يد الشيخ المُفيد. لَهُ مؤلَّفات كثيرة، عالم كبير، ومرجع تقليد، انتقل إلى رحمة الله سنة ٤٠٦هـ. ترجمته: رياض العلماء: ٥/ ٧٩-٨٦، موسوعة الشريف الرضيّ: ١/ ٨.

(١) ديوان الشريف الرضيّ: ٢/ ٢٤٥.

(٢) نقل تفصيل هذا الأمر الأمين في كتابه مستدرك أعيان الشيعة: ١/ ٣١، بعد أن نقل لبّ الأفكار من كتاب ضحى الإسلام: ١/ ١١٩-١٢٠.

السيرة[1]، وهو مثبت في ديوانهِ، وعلى هَذِهِ القاعدة ينمحي عنهُ أَثر الشُّعُوبيَّة، عندما يعطف الهيثم بن عدي[2] الشعوبيّ على أبي عبيدة، ويهجوه ذلك الهجاء المرّ، ويسجِّل عليهِ أَنَّهُ دعا في العربِ، لقولهِ فيهِ: [من الوافر]

أتيت الهيثم بن عدي زورًا،
وَقَدْما كُنتُ أمنحُهُ الصَّفاءَ [3]

فأعرض هيثمٌ لمَّا رآني،
كأنِّي قد هجوتُ الأدعياءَ

وزد على ذلِكَ رميه للشعوبيّ الثَّالث بشَّار بن برد[4] بداء أَبي عبيدة، ثمَّ قوله المشهور فيهِ: [مجزوء الرمل]

إنَّ بَشَّار بن بُرْدٍ
تَيْسُ أعمى في سَفِينَهْ[5]

هؤلاءِ شعوبيو عصرٍ واحد- فيما يزعمون- ولو كان أبو نواس رابعًا لهم في الشُّعُوبيَّة؛ لكانت وحدة الطريقة تصدُّه نوعًا ما عن مواجهتهم بذلك الثلب القبيح

(١) يقول أحمد أمين في كتابهِ (ضحى الإسلام: ١/ ١١٩-١٢٠)، مستدلًّا على شعوبيَّة (أبو نؤاس)، فذكر قائلًا: «ولكنَّ أبا نواس لا يعتدُّ بهجوه، فليس في هجائه مقياس الصدق، فقد هجا أبا عبيدة ورماه باللواط.. الخ». ويعلِّق السيِّد حسن الأمير على هذا ويقول: «فكيف يعتدُّ أحمد أمين، إذن، بكلامٍ قاله أبو نواس عن أبي عبيدة والأصمعيّ، ويجعله دليلًا على شعوبيَّته، في حين أنَّ ذاك الكلام ليس ظاهرًا بالتحيُّز لأبي عبيدة، بينما هو- أي أحمد أمين- لا يعتدُّ هنا بهجاء أبي نواس بحجَّة أنَّه ليس في هجائه مقياس الصدق، وكذلك مدحهُ». مستدرك أعيان الشيعة: ١/ ٣٢.

(٢) مرَّ ذِكره.

(٣) (مررت) بدل (أتيت)، (يومًا) بدل ((زورًا). ديوان أبي نواس: ٢٢.

(٤) مرَّ ذِكره.

(٥) البيت لأبي الشمقمق. يُنظر ديوانه: ٩٢.

الفاضح، ولكنَّ شعوبيَّته إن كانت فهي هزليَّةٌ أدبيَّةٌ في شعر مجونيّ، وليست بتلك الشُّعُوبيَّة المذمومة.

ولقد رأيت في الكتاب من ينسبه إلى الفارسيَّة والزندقة؛ لنقل الطبريّ عن سُليمان ابن أبي جعفر[١] أنَّهُ مِن كبار الثنويَّة، وهو ما لا يهمُّني التعرُّض لهُ؛ للشواهد الكثيرة على كذبِهِ.

أمَّا أبو الطيِّب المتنبِّي، فإنَّهُ مرَّ بـ(شعب بوان) مِن فرس[٢]، ولـمَّا وجد نفسهُ فيهِ غريبًا:

«غَرِيبُ الوَجْهِ وَاليَدِ وَاللِّسَانِ»[٣].

وَلَـمْ يجدْ من يكرمه ويحتفي بـهِ، هجا أهله أخفَّ مَا يهجُو مثله قومًا غلاظًا جفاة، هم وضعاء في أنفسهم، ولا تربطه معهم أيّا رابطة لولا الإسلام، وكيف يحتفي به ويحتفل من لا يقدِّر للعلم والأدب العربيّ وزنًا؛ لفارسيَّته؛ ولأنَّهُ بمعزل عن الآداب العربيَّة؟ أم كيف يتكرَّم صافحًا عنهم ذلك الهجاء الجشع، حتَّى ولو كانوا مِن مصَّاص العرب، إن كانوا مع ضِعَة أقدارهم أوحشوا جانبه، وجانبوا قربه.

---

(١) هكذا ورد اسمه، ولم ترد له ترجمة خاصَّة.

(٢) كان يقال متنزَّهات الدُّنيا أربعة، غوطة دمشق، ونهر الأبله، وصغد سمرقند، وشعب بوان، وهو موضع قرب شيراز، طيِّب الهواء، كثير الأشجار والأنوار والمياه، وفيه يقول أبو الطيب المتنبِّي. (م): [من الوافر]

مَغَاني الشِّعْبِ طِيبًا في المَغَاني ... بِمَنْزِلَةِ الرَّبيعِ مِنَ الزَّمَانِ
وَلَكِنَّ الفَتى العَرَبِيّ فِيهَا ... غَرِيبُ الوَجْهِ وَاليَدِ وَاللِّسَانِ

ديوان المتنبِّي: ٥٤١.

(٣) ديوان المتنبِّي: ٥٤١.

إنِّي كلَّما فحصت أبياتهُ التالية الَّتِي يذمُّ فيها الشعوبيِّين[1]، متجرِّدًا عن القوميَّة والطوائِفيَّة، أَجد أنَّهُ قد أرسل فيها مِنَ حكمهِ المأثورة وأَمثالهِ السائِرة مَا لا يحيف عَلَى أحد، لولا أنَّهُ أتبعها بما يعهد مِن مثلهِ مِنَ القذف والقذع الَّذِيَن ربما كان الشعبيُّون أهلًا لهما؛ لجفائِهم لهُ واستهانتهم بهِ، مع ضِعَة نفوسهم وخِسَّة أَنسابهم، وها الأَبيات الَّتِي تنحل لهُ بها الشُّعُوبيَّة[2]: [من المنسرح]

وإنَّما النَّاسُ بالمُلُوكِ ومَا
تُفْلِحُ عُرْبٌ مُلُوكُها عَجَمُ
لا أدَبٌ عِندَهُمْ ولا حَسَبٌ
ولا عُهُودٌ لَهُمْ ولا ذِمَمُ
بِكُلِّ أرْضٍ وطِئْتُها أُمَمٌ
تُرْعَى بعَبْدٍ كأنَّها غَنَمُ
يَسْتَخشِنُ الخَزَّ حينَ يَلْمَسُهُ
وكانَ يُبْرَى بظُفْرِهِ القَلَمُ

وعسى أن يكُون المعنيُّ بقولهِ:

«لا أدَبٌ عِندَهُمْ ولا حَسَبٌ»

هم العرب الَّذِيَن كانت الأَعاجم ترعاهم، وتملك يومئذ أَمرهم؛ لما أَن أَولئك العرب هم الَّذِيَن ينتجع المتنبِّي[3] رفدهم، ويودُّ أَن يفيض عليهِ برُّهم إفاضةَ بني

(١) في الأصل: (الشعبيِّين)، والصواب ما أثبتناه.

(٢) ديوان المتنبِّي: ٩٣.

(٣) قال المعرِّي في شرح ديوان المتنبِّي: «يريد أنَّ ملوك بني العبَّاس وغيرهم صاروا يولُّون المدائن عبيدهم؛ فيكونون روما وتركًا وغير ذلك، ويتَّفق أن يكون المولى أعجميّ اللسان، وكانت الولادة في صدر الإسلام، إنَّما تولي العرب.. فكأنَّهم غنم مرعيَّة، وعادتهم أن يرعوا الإبل=

حمـدان[١]، أمَّـا العبيد الَّذِيَـن هم رعاة الأُمم، فقـد زعم في (نفح الطيـب) أنَّهُ يريد بهم الأَتراك الَّذِيَن هم موالي الخلفاء وهم الولاة مِن قبلهم في تلك النواحي[٢].

فإنْ صَحَّ هذا فأيُّ شعوبيَّة تظهر أَو تستظهر مِن هجاء شاعر قذَّاف لمولى من العلوج كان خشن الملمس والمعيشة، ثُمَّ انتهى أمرهُ إلى التَّرف والإمارة.

[المتنبِّي وشعوبيَّته]

إنَّ المتنبِّي أفرط في ذمِّ الروم وغيرهم مِن غير العرب، وما عدَّ لذلكَ شعوبيًّا، فلماذا إذا هجا قومًا مِن الفُرس، يُتهجَّم عليه بالشُّـعُوبيَّة، ولماذا لَمْ يشفع بهِ كثير مدائِحهِ لعضد الدولة وبنيه الفارسـيِّين، كأن الشُّـعُوبيَّة هي المفاضلة بين العرب والفُرس فقط، أَو هي ذمُّ أَحـد مِـنَ الفريقَين لطائِفة مِنَ الفريق الآخر، كلَّا، إنَّ مِن أَشـدِّ الشُّـعُوبيَّة الأَفشِـين التركيّ، ولكنَّ شـعوبيَّتهُ ليس إلَّا لأَنَّهُ كان يضمر السـوء للعرب، ويودُّ لو ظَفَر بهم أن يشدخ رؤوس عظمائِهم بالدَّبُّوس، كما يقُول.

كما أَن مِن أَشـدِّ شـعوبيَّة العرب فيما أَرى الآن نصر بن سـيار العقيليّ[٣] الَّذِي ظلَّ

=والغنم.. وهذا العبد كان شـقيًّا يمارس شـدَّة من العيش، ثمَّ تنعَّم؛ فصار إذا لمس الخزَّ زعم أنَّه خشـن، وكان من قبل ولايته يطـول أظفاره حتَّى يصحُّ أن تُبرى بها الأقـلام». اللامع العزيزي شرح ديوان المتنبِّي: ١٢٢٨.

(١) الدَّولَةُ أو الإِمَارَةُ الحَمَدَانِيَّةُ أو دَوْلَةُ بَني حَمَدَان، وتُعرفُ أيضًا باسم الحَمَدَانِيُّون أو بني حمدان، هي إمارة إسلاميَّة شيعيَّة أَسَّسها أبو مُحَمَّد الحسن بن أبي الهيجاء الشهير بِلقب (ناصر الدولة) في مدينة الموصل بِالجزيرة الفُراتيَّة، وامتدَّت لاحقًا باتِّجاه حلب وسـائر الشَّـام الشماليَّة وأقسامٌ من جنـوب الأناضول. وهـذه الدولة كانت بالموصل، وديار ربيعة، وديـار بكر، والثغور، وحلب، وجدُّ ملوكها الذين يُنسَـبون إليه هو مكابد المحل حمدان بن الحارث بن لقمان بن راشـد بن رافع ابن مسعود التغلبيّ العدويّ. نهاية الأرب في فنون الأدب: ٢٦/ ١٢٣.

(٢) نفح الطِّيب: ١/ ٤٢٢-٤٢٣.

(٣) نصر بن سـيَّار الليثيّ الكنانيّ: نصر بن سـيَّار بن رافع بن حري، الجندعـيّ الليثي الكنانيّ،=

يطـرد الحكـم العبَّـاسيّ مِن الجزيرة خمس سـنين، ولـمَّا قِيـل لهُ قَد وترت بنـي العبَّاس، فلـو بايعت خليفة، أبـى أن يبايع طالبيًّـا ولا أَمويًّا، وقال هو[1] مع بنـي العبَّاس، وإنَّما حاربتهم محاماة عن العرب؛ لأنَّهم يقدِّمون العجم عليهم، وهكذا بقي نصر محاربًا حتَّى وقع بيد المأمون سـنة ٢٠٩[هـ]، ولا أَرى مِن الشُّعُوبيَّة الأَثيمة إلَّا ذلِكَ، لا ما يؤثر عن أَمثال المتنبِّي[2]، وأَبي نواس البصريّ[3].

إِنِّي لا أَرى مِـنَ الشُّـعُوبيَّة أن يتمـدح الفارسيّ بأبيـهِ، إِذا كان مِـن عُظماء الفُرس، كـما يقُول الصفديّ: «وإِنَّ أَبي ساسـان كسرى بن هرمز»، وكما يقُـول مِهيار بن مرزويه الديلميّ[4]: [من الرمل]

وأبي كـــــسرى عـــلى أيـــوانـــهِ
أيـــنَ في الـــنَّـــاس أبٌ مـثـل أبي[5]؟

=آخر ولاة الأمويِّين على خراسـان، ولَّاه هشام بن عبد الملك. توفِّي سنة ١٣١هـ، وكانت إقامته في مرو، وهو آخر ولاة الأمويِّين على خراسـان، ولَّاه هشـام بن عبد الملك. توفِّي سـنة ١٣١هـ، وكان واليًا محنَّكًا حازمًا، فاستشعر بوادر الانفجار ونذر الخطر، وكتب إلى يزيد بن عمر بن هبيرة والي العراق في تلك الأيَّام، رحل إلى ساوة، فمات فيها يوم ١٢ من شهر ربيع الأوَّل سنة ١٣١هـ، وعمره ٨٥ سـنة، وموته كان دلالة على انتهاء الدولة الأمويَّـة. تُنظر ترجمته في: تاريخ اليعقوبيّ: ٢/ ٣٢٧، تاريخ الطبريّ: ٥/ ٤٤٩.

(١) في الأصل: (هو أي). والصواب ما أثبتناه.

(٢) مرَّ ذِكره.

(٣) الاعتدال، الحلقة الخامسة، العدد التاسع، ١٩٣٦م، ٥٤١-٥٤٧.

(٤) ذكر المؤرِّخون أنَّ مهيار بن مرزويه الديلميّ الكاتب الشَّـاعِر الإمامي المشهور كان مجوسيًّا من أولاد أنوشروان كسرى العادل، وأنَّه أسـلم عَلَى يد الشريف الرضيّ سـنة ٣٩٤[هـ]، وتخرَّج في قرض الشَّـعر عليه، يعدُّ من شعراء الدولة البويهيَّة في العراق، وتوفِّي أواخر أيَّامها سنة ٤٢٨هـ. (م). سير أعلام النُّبلاء: ١٧/ ٤٧٢.

(٥) ديوان مهيار: ١/ ٦٤.

وحـقٌّ لمـن أَبوه ذلِـكَ الملـك العظيم، الَّـذِي اشـتهر بالعـدل، وافتخر الرسـول الأَعظم[صلى الله عليه وآله]- وهو معدن كُلِّ فخر- بأَنَّهُ وُلِدَ في زمانهِ أَن يفخر بانتمائِهِ لهُ.

[أَبو الأَسود الدؤليّ وشعوبيَّته]

هـذا أَبـو الأَسـود الـدؤليّ[1] المتوفَّـى سـنة ٦٩[هـ]، عندمـا أَراد إِطـراء الإمام السـجَّاد[عليه السلام] ذي الثَّفنات[2] عليّ بن الحسـين زين العابدين[عليه السلام]، وقد ولده رسول الله[صلى الله عليه وآله] وعليّ بن أَبي طالب[عليه السلام]، جميعًا مدحهُ بقولهِ: [من الطويل]

وإنَّ ولـيـدًا بـين كـسـرى وهـاشـمٍ
لأكـرمُ مَـنْ نِـيطـتْ عـلـيـهِ الـتَّـمـائِـمُ[3]

يريد أَنَّ أمَّه هي بنت يزدجرد بن شهريار بن شيرويه بن كسرى أبرويز[4]، وما ذلكَ

(١) أبو الأسـود، ظـالم بن عمرو بن سـفيان الدؤلـيّ الكنانيّ، من السـادات التابعـين وأعيانهم وفقهائهـم وشـعرائهم ومحدِّثيهم ومِن الدُّهاة. وُلِـدَ قبل بعثة النبي محمَّـد[صلى الله عليه وآله]، وآمن به، لكنَّه لم يـره، فهـو معـدود في طبقات التابعـين، وصَحِب أمـير المؤمنين عـليّ بن أبي طالـب[عليه السلام]، الَّذي ولَّاه إمـارة البـصرة في خلافته، وشـهد معه وقعـة صفِّين والجمـل ومحاربة الخـوارج. ويُلَّقب بلقـب ملك النحو؛ لوضعـه علم النحو. تُنظر ترجمته في: الـوافي بالوفيات: ٩/ ٢٣٣، الأعلام: ٣/ ٢٣٦.

(٢) الثَّفنات: مواضع السجود السبعة.

(٣) يُنظر: الأغاني: ٢/ ٢٥٦.

(٤) يزدجرد الثالث (٦٣١-٦٥١): اسـمه يزدجرد بن شـهريار بن برويز بن أنوشروان، وهو آخر ملـوك الدولة الساسـانيَّة، وحفيد ملـك الدولة الساسـانيَّة كسرى الثاني، الَّذي قتلـه ابنه الملك الساسـانيّ قبـاذ الثاني. كان يزدجرد ممَّن نجا من سـيف عمِّه شـيرويه حين قتـل إخوته وبنيهم، هـرب به نظر لـهُ إلى بعض الأطراف، وكان تمليكـه بعد ظَفَر أنصاره على أنصـار أزميدخت أو أنصار فرخزاذ. وكانت سـنُّه إذ ذاك خمس عشرة أو سـتّ عشرة سـنة. تمَّت توليته العرش وهو صغـير، فـكان الوزراء والعظماء يدبِّرون ملكه لحداثة سـنِّه، وقد عاش بعد تمليكه عشرين سـنة أمضى منها زهاء سـبع سنين بالمدائن، ثمَّ خرج منها حين قاربها العرب، وظل يطوف في أرجاء=

البذخ والفخر مِن مِهيار وغيره، إلَّا كما يقُول السَّـيِّد الشَّـريف الرضيّ مفتخرًا بآبائهِ[1]: [من المتقارب]

أنـــا ابـــن الـعـــرانـــين مِـــنْ هـاشـم
أرقّ الـقـبـائـل راحًـــا وأنـــدى
أكـــفّـــهـــم لـــلـــمـــرامـيـــل ظِـــلا
وَأثْـــقَـــبُـــهُـــمْ لـــلـمَـطَـارِيـقِ زَنْـــدَا

وكقوله[2]: [من المتقارب]

أنـــا ابـــن الأنـاجـيـب مِـــنْ هـاشـمٍ
إذا لم يـكُـن نـجـب مِـــنْ نـجـبِ
ثـــلاث بـــرودهـــم بـالـرمـاح
وتـــلـــوى عـمائـمـهـم بـالـشـهـبِ

وإذا سـاغ هذا ونحوه للشريف العربيّ، فلماذا لا يسـوغ لشريـف الفُرس، إذا كان آبـاؤه ممَّـن يُفخَر بهـم، وكان فخره حقًّـا إلَّا أن يكون العـربيّ متكوِّنًا مِن طينة السَّـماء، والفارسيّ مخلوقًا مِن طينة الأَرض اللزبة.

ولا أَرى مِن الشُّـعُوبيَّة أيضًـا ذمّ الفارسيّ طائِفة مِن العـرب، أَو العربيّ طائِفة مِن الفُـرس، لأَغراض تتَّفق وهنات في وقتها تؤثِّر، ثُمَّ تبقـى خالدة ما بقي التأريخ وبقيت كتب السِّير، ولو ذهبنا بعد ذلِكَ مِن الشُّعُوبيَّة، لكان أَبو فراس الحمدانيّ[3]، وأَبو الطيِّب

=إيران حتَّى قُتِل في خراسـان حوالي سـنة ثلاثين من الهجرة في خلافة عثمان. يُنظر: سـير أعلام النبلاء: ٢/ ١٠٩.

(١) ديوان الشرَّيف الرضيّ: ١/ ٥٢٣.

(٢) ديوان الشرَّيف الرضيّ: ١/ ١٨٨.

(٣) أبـو فـراس الحمدانـيّ: هـو أبو فـراس الحارث بن سـعيد بـن حمـدان الحمدانـيّ التغلبيّ=

المتنبِّي[١]، والشَّريف الرضيّ[٢]، وكثير غيرهم مِن شعوبيَّة العرب، بَلْ ساغ لنا عَلَى هذا الرغم عدّ الخوارج وبعض فرق المعتزلة شعوبيَّة؛ لأنَّهم يفضِّلون النِّبط على العرب[٣]، لكن ذلكَ التفضيل منهم لأَمر مذهبيّ في موضوعه المختصِّ بهِ، ولا دخل لهُ باحتقار العرب لما أَنَّهم عرب، فإنَّ فضل العروبة في نفسهِ ومفضوليَّتها ليس مِن الأَمور المذهبيَّة، وكيف يقول بذلِكَ المفضِّلون وهم هم العرب المفضولون، وإذا توسَّع مَن لا يبالي باللمز بإلقاء اسم الشعوبيّ على مَن يمدح فريقًا مِن العرب أَو الفُرس مثلًا، ويطعن في آخر؛ لغرض غير نفس العروبة والفارسيَّة، سامحناهُ في التسميَّة حينما لم يخالفنا في حقيقة معنى الشُّعُوبيَّة.

وكما أَنَّهُ ليس الشُّعُوبيَّة ذمُّ طائِفة مِنَ الفُرس، فليس مِنها مدح كافَّتهم بالمآثر الخَاصَّة بهم، فإنَّ لهم مآثر جمَّة يحقُّ ذِكرها وإطراؤها، وليس مِنَ الفتوَّة العربيَّة غمط الحقِّ على أَهلهِ، وإذا كانت الألطاف مازت العرب بخصائِص موهبيَّة، وأُخرى طبعيَّة وأَخلاقيَّة، فإن الطبيعة لم تهمل فارسيًّا العريقة في المجد، السابقة في فخامة الملك، وَمَا عَلَى شاعر، وإن لَمْ يكُن فارسيًّا، إذا دعاه التزلُّف إِلَى ذي خطر فارسيّ، أَن يسبِّح بحمدهِ، ويمجِّد

=الرَّبَعيّ، ٣٢٠-٣٥٧هـ، هو شاعر وقائد عسكريّ حمدانيّ، وهو ابن عمِّ سيف الدولة الحمدانيّ أمير الدولة الحمدانيَّة الَّتي شملت أجزاء من شمالي سوريا والعراق، وكانت عاصمتها حلب، في القرن العاشر للميلاد. عاصر المتنبِّي، وأُسِر في إحدى المعارك مع الروم. يُنظر ترجمته في: يتيمة الدَّهر: ١/ ٥٧، تاريخ مدينة دمشق: ١١/ ٤٢١.

(١) مرَّ ذِكره.

(٢) مرَّ ذِكره.

(٣) ذكر المسعودي: «وقد زعم جماعة من المتكلِّمين، منهم ضرار بن عمرو وثمامة ابن الأشرس، وعمرو بن بحر الجاحظ (أَنَّ النِّبط خير من العرب)؛ لأَنَّ من جعل الله تبارك وتعالى النبيّ ﷺ منهم لم يَدَعْ أكبر شرف في الدنيا إلَّا وقد أعطاهم إيَّاه، ومن لم يجعله منهم، فلم يدَّع أكبر شرف في الدنيا إلَّا وقد أعراهم منه وسَلَبهم إيَّاه، ولا نعمة على من جعل الله تعالى». مروج الذهب: ٢/ ٢٦.

قومه، إِذا لم يفضلهم عَلَى أَيّما أُمَّة مسلمة، ولذا أَنا لا أطبع جبين مِهيار بطابع الشُّعُوبيَّة حينما يمدح أَكاسرة الفُرس بقُولهِ[1]: [من الكامل]

يُنتابُ نادِيهم، وتفهق في بيوتهم الجفانُ

وإذَا عَلتْ نيرانُهم فالمندليُّ لها دُخَانُ

لله منهم جَدِّي الوضَّاحُ أو أبي الهِجانُ

وبنفسي الغُرَرُ الوضَاح بِلينَ والسُّننُ الحسانُ

وجبينُ كُلِّ متوَّجٍ هو لا البخيلُ ولا الجبانُ

ولقد رأيت البعض مِن العرب يتذمَّر مِن مِهيار لهَذِهِ الأَبيات ونحوها، كما أَن فريقًا مِن الفُرس يجرُّه بها إِلَى الشُّعُوبيَّة، والتوسُّط يحكم عليهم، كيف وهذا الشَّريف الرضيّ في مدائِحهِ للملوك الديلم يذكر أَسلافهم ويطريهم أَيّما إِطراء، ولا سلف لهم سوى أَكاسرة الفُرْس[2]، فلماذا لا ينكر عليهِ حينما يقُول في الديالمة: [من الطويل]

مِن القوم طالوا كُلَّ طول إِلَى العلا إذا أذرع يومًا قصرن وبوع[3]

(١) ديوان مِهيار الديلميّ: ٤/ ٤٢.

(٢) ذكر ابن الأثير أنَّ (بويه) من ولد يزدجرد بن شهريار، آخر ملوك الفرس، وأنَّ بنيه نسبوا إلى الديلم؛ لطول بقائهم في بلدان الديالمة. (م). الكامل: ١/ ٤٧.

(٣) ديوان الشريف الرضي ١/ ٩٦٩.

ويقول[١]: [من البسيط]

من معشر أخذوا الفضلى فما تركوا
مِنها لِمَنْ يَطْلُبُ العَلْيَاءَ متَّرَكَا

ويقول[٢]: [مجزوء الرمل]

من رجال ركبوا المجد
فما ذموا طريقه

ثُمَّ يعقب هذا بثناء مثلهِ على أعاظم الملوك، ولا يعنى بهم سوى الأَكاسرة الَّذِيَن لم يزالوا ملوكًا إِلَى حين فتح فارس بأيدي العرب وبوار ملك الفُرْس، ويكفي في إطرائِهِ لهم ونعيهِ إيَّاهم حينما اجتاز المدائن بقولهِ[٣]: [من الرمل]

آلُ سَاسَانَ حَدا الخَطبُ بِهِمْ
واستردَّ الدهر مِنْهُم ما أعارا
أين لا أين المعالي جمَّة
والحمى أفيح والرأي مغارا
وَرِجَالٌ شُدِخَتْ أوْضَاحُهُمْ
غلوا الأعناق منا وأسارا
يُهْمِلُونَ المَالَ إهْمَالَهُم
غَارِبَ السَّرْحِ وَيَرْعَوْنَ الذِمارَا

(١) ديوان الشريف الرضيّ: ١/ ١١٨٩.
(٢) (طريقه) في الديوان: (عنيقه). ديوان الشريف الرضيّ: ٢/ ٤٣.
(٣) ديوان الشريف الرضيّ: ١/ ٧٤٦-٧٤٧، وهذه الأبيات مجتزأة من الديوان.

كُـــلُّ مَـــوْقُـــوذٍ مِـــنَ الـــتّـــاجِ لَـــهُ
نَهَـــرٌ يَـسـقـي يَـلَـنْـجُـوجًـا وَغَـــارَا[1]
ذي ضِـــيَـــاءٍ إنْ جَـــلا عِـــرْنِـيـنَـهُ
ضـــوء الـلـيـل وَمَـــا أوقـــد نـــارا
تـسـكـن الـضـوضـاء عِـنْـهُ هيبة
مـثـل مـا لـبـدت المـــزن الـغـبـارا

ولا مِـن شـعوبيَّة مِهيار أَيضًـا ما جاء في مدائِحـهِ لبني بويه ولآل عبـد الرَّحيم في النواريز[2] والمهرجانات، مِن مدحهم بالفارسيَّة، وبما يحق أَن يثنى بِهِ كسروي عَلى مثله، مِن ذكر سـابق المجد وسـامق الملك، سـيَّما وبنو عبد الرَّحيم الَّذين لهـم مقاليد الوزارة يومئذ، يُنبوع مُرتزقِهِ، والمنتجع الوحيد لهُ، وهو مهما اعتزَّ بنسبِهِ لم يرتفع عن كونه شاعرًا وسـائِلًا، وَمَا عَلَى مرتزق فارسيّ، أَن يطري أَولئك الـوزراء، وهم جميعًا مِن الأَكاسرة، بمثل قولهِ[3]: [من الكامل]

أبـــنـــاء تـــيـــجـــان الأسرة قـابـلـوا
بـالـفـخـر بـيـن مـــرازب وأَكـــاسِرِ
فـــإذا انـتـضـوهـا ألـسُـنًـا عـربـيَّـةً
فـسـيـوف مـلـحـمـة وقـضـب مـنـابـرِ
وإذا الـروايـة في الـسـيـادة ضعفت
نـقـلـوا الـريـاسـة كـابـرًا عـن كـابـرِ

إِنِّي لا أَرى موقف مِهيار في هَذِهِ المدائح إِلَّا كموقف الشَّـريف الرضيّ في مدائِحهِ

(١) [موقود]: بالدال المهملة أو المعجمة عَلى اختلاف للنسخ، ولِكُلٍّ وجه صحيح. (م).
(٢) ينظر ديوان مهيار: ١/ ٢٥٩، ٢٦٧، ٣٣٠، ٣٣٢، ٢/ ١٠، ٣٣٣، ٣٥٦، ٣/ ٣٢، ٤٥، ..
(٣) ديوان مهيار: ٢/ ٧٣.

لبهاء الدولة وإخوته بني عضد الدولة، ولكثير مِن وزرائِهم في الأَعياد الفارسيَّة بما يغنى نضده في ديوانهِ عن ذكرى لهُ أَخص هذا الشَّريف لكونهِ أظهر شعراء العرب الفخريِّين مِـن ذوي العـزَّة وشرف النَّفس والفخر الصادق بِكُلِّ أَفانينـهِ، وها هو ذا يمدح الوزير أبا نصر سـابور بن أزدشـير صاحب شرف الدولة[1] الدِّيلميّ، ويخاطبهُ بقولهِ[2]: [من البسيط]

مَـا زِلْـتَ تَـرْغَـبُ في مَجْـدٍ تُشَـيِّـدُهُ
عَـفْـوًا وَغَـيرُكَ في كَـدٍّ وَتَـعـذِيـبِ
حتى بَـلَـغْـتَ مِـنَ الـعَـلْـيَـاءِ مَـنْـزِلَـةً
تـفـدي الأعـاجـم فـيـهـا بـالأعـاريـبِ

ويقـول في مـدح أَبي شـجاع سـلطان الدولة حين تـولى الملـك بعد أَبيـه[3]: [من الكامل]

لا ثُـلَّ عَـرْشُ بَـنـي بُـوَيْـهٍ أَنَّهُـمْ
غـدرُ المـكـارم والجـنـاب الأمـرعُ
فـعـلى روائِـهـم يحـوم المعـتـفـي
وَإلى لـوَائِـهِـمُ تُـشِـيرُ الإِصْـبَـعُ
إن قـاربـوا فـهـم الـشـهـاد المجتنى
أو بـاعـدوا فَـهُـمُ الـسِّـهامُ المُـنـقَـعُ
فـهـم لأيَّـام الحـفـائـظ مـفـزعٌ
وهـم لأيـام المـكـارم مـطـمـعُ

(١) مرَّ ذِكره.
(٢) ديوان الشريف الرضيّ: ١/ ٨٣.
(٣) ديوان الشريف الرضيّ: ١/ ٩٣٥.

هَـتَـفَ الـعَـلاءُ بِهِـمْ إلى غَـايَـاتِـهِ
فـتَـضَـرّعَ الـقَـوْمُ الـلّـئـامُ وَأسرَعُـوا

وأَنا في هَذِهِ النبذة، وفي هذا الدفاع، أو هَذِهِ النصرة الأَدبيَّة، لا أريد أَن أَقف مناضلًا دون شعوبيَّة مِهيار الدِّيلميّ ولا كان مِن مهمتي بادئ بدء طرد القول إِلَى شعوبيّة القرن الرَّابع الَّـذِي يعيش فيهِ أَبـو الطيب المتنبيّ، ومهيـار الدِّيلميّ، فقد استحرت في ذلِك القرن الشُّعُوبيَّة، وظهرت بِكُلِّ صورة، وذلك غير مستنكر بأوَّل نظرة إِلَى فارسيَّة الحكم والدولة يومئذ في العراق العربيّ وما جاورهُ.

فإنَّها بطبيعة الوقت وطبيعة الحال تكون مظهرًا للشـعوبيَّة بجميع تشـكلاتها، وما مِـن فائدة مجدية في عدّ شـعوبيّ ذلِكَ القـرن، والتطورات الَّتِي انتهت إِليها الشُّـعُوبيَّة بذلِـك القرن شـعوبي كله بِكُلِّ معاني الشُّـعُوبيَّة، بل الأَجدر- لو ذكر فيهِ شـعوبي- أَن يذكر فيهِ شعوبيَّة العرب إن كانوا.

ولكنـي في هـذا الدفـاع الأَدبي أريـد أَن أَعذر مِهيـارًا في بعض المظاهر لشـعوبيتهِ الأَدبيَّة الخالصة الَّتِي كانت تكتظُّ على قلبهِ فتطفح عَلَى لسـانهِ، وها هي وجوه الاعتذار عنهُ.

١. إنَّ مهيـار الدّيلمـي كسرويٌّ يعيش في ملك الدّيالمة بني بويه الكسـرويين أَولي السطوة والوفر الجم، وهو ذلك الشَّاعِر الَّذِي يأكل بشعرهِ، وكما أَنَّهُ نفسه هو شعر كلهُ، فالاستجداء بالشِّـعر هو الموضوع وهو العنوان لتمام شـعرهِ، ولا محيد لهذا ومثلهُ[1] عن مـدح الفرس، والتمدح بالفارسـيَّة، وها هو ذا قد مدح ابـن ماسرجيس[2] في يوم عيد

(١) بل ومن هو فوقه كالشريف الرضيّ، وأبي الطيِّب المتنبِّي الشعوبيّ على ما يقولون. (م).
(٢) عرفهُ مهيار بالأستاذ الرئيس أبو منصور بن ماسرجيس، ومدحهُ بقصائد عديدة، منها:
لمـن الحـمـولُ سـلـكـن فـلـجـا يـطـلـعـنـه فـجـا فـفـجـا
ديوان مهيار: ١/ ١٨٠.

الفصح[١]، وفخر الملك الدَّيلميّ في (ليلة السدق)، الَّذِي عملهُ بين العرب، وهو من المنكرات في الإسلام؛ لأنَّ ذلِكَ اليوم وتلك الليلة مِن أَزمنة الاسترفاد.

٢. ومع أنَّ الرجل فارسيّ، وأنَّ قوَّة الدولة الفارسيَّة في العراق تخوِّله أن يجاهر بما شاء، فإنَّهُ لاينسى أنَّهُ يمشي في بلاد عربيَّة ومسلمة، وأنَّهُ يعيش بين العرب الَّذِيَن يحسبونهُ علجًا ومملوكًا، وأنَّهُ لا شرف لهُ ولا حسب ولا طيب ولادة، وهذا بطبعهِ يوجِب تغيُّظه عليهم، لما أنَّهُ معتزٌّ لأبعد غايَّة بشرف نفسه وسيادة آبائه العالميَّة، وربَّما كان يُلقي بمشهده ومغيبه مِن أَوساطهم وعامَّتهم مِن الانتقاص لنفسهِ ولهم ما لا يحتمله مغترٌّ مثله، ولذلِك كان يتوجَّع مرَّة لانقراضهم، فيقول[٢]: [من الرمل]

أكل الدهرُ فأفنى معشري
ليته أشبع دهرًا ما أكلْ

ويقول[٣]: [مجزوء الكامل]

هم خلفوني كالرذيـ
ـيةِ لا أدين ولا أدان

ويقف ثانيَّة يطريهم ويقرضهم أمام محتقريه، بمثل قولهِ في إحدى مشهوراتِهِ[٤]: [من الرجز]

(١) عيد الفصح أو ما يُعرَف بعيد القيامة، وهو من أكبر الأعياد عند المسيحيِّين، وفي هذا اليوم ينتهي الصوم الكبير، وينتهي فيه أسبوع الآلام، ويبدأ ما يسمَّى (زمن القيامة)، الذي يستمرُّ أربعين يومًا في السنة الطقسيَّة إلى غاية (عيد العنصرة).

(٢) ديوان مهيار: ٣/ ٧٣.

(٣) ديوان مهيار: ٤/ ٤٢.

(٤) ديوان مهيار: ٣/ ٣٣٤-٣٣٥.

إن يجحد النَّاسُ علاهم فبما
أنكرَ روضٌ نعمَ الغمائمِ!!
كم قصّرت سيوفهم عن جارهم
خُطى الزمانِ قائمًا بقائمِ
ودفعتْ حُماتُهم عن نُوبٍ
عظائمٍ تُكشفُ بالعظائمِ
وخوَّلوا مِنْ نعمةٍ واغتنموا
جلَّ السماح عن يمين غارمِ

وبقوله وهو قليل النظير في شعر الفخريِّين؛ لما يتضمَّنهُ مِن استخلاص فخر مِن فخر، وللتدليل على شرف بمثلهِ- مجد الآباء وفضل الأَبناء[1]: [من الكامل]

إن تنكري قومي فعند
ك مِنْ بقيتهم بيانُ
وسلي النجابة كيف كنـ
ـتُ لتعلمي بي كيف كانوا

٣. وَمِن جهةٍ أُخرى، أَنَّهُ- وهو ذلِك الشَّاعِر الواسع الخيال- يرى الشِّعر العربيّ طافحًا بالفخر بأنواعهِ، وخاصَّة شعر سيِّده الشَّريف الرضيّ الَّذِي غصَّ ديوانه الضخم بفخريَّاتهِ المتنوِّعة، حتَّى انتهى توسُّعه في الفخر بنفسه وبآبائهِ، وهو محاطٌ بملوك الأعاجم إِلَى مثل قوله[2]: [من الطويل]

(١) ديوان مهيار: ٤/ ٤٢.
(٢) ديوان الشريف الرضيّ: ١/ ١٦٨٦.

وَمَـا مِـنـهُـمُ إلَّا امـرُؤٌ شَـبَّ نـاشِـئًا
عَـلَى نَـمَـطـيْ بـيـضَـاءَ مِـنْ آل هَـاشِـمِ
فـتـى لَمْ تُـوَرِّكْـهُ الإمَـاءُ، وَلَمْ تَـكُـنْ
أعـارِيـبُـهُ مَـدْخُـولَـةً بـالأعَـاجِـمِ

فتحرِّكه العواطف الفارسيَّة، ويفور في قلبِهِ الدَّم الكسرويّ الخالص للإبداع بالشَّعر الفخريّ إبداعهُ في غيرِهِ، سيَّما وهو يعتقد أَن مجال الفخر بالآباء وبالآداب لا يتَّسع لأحد كما يتَّسع لهُ، فيقوم فاخرًا بآبائِهِ الأكاسرة ملوك العالم، ويطريهم ونفسه بمثل قوله[1]: [من الرمل]

قَـوْمِـيَ اسـتـولَـوْا عَـلَى الـدَّهـرِ مدى
وَمَـشَـوْا فـوقَ رؤوسِ الحِـقَـبِ[2]
عـمَّـمُـوا بـالـشـمسِ هـامـاتُهُـم
وبَـنَـوْا أبـيـاتَهـمْ في الـشُّـهُـبِ
سَـوْرَةُ المُـلْـكِ الـقُـدامَـى وَعَـلى
شَرَفِ الإسـلامِ لِي والأدبِ
قـد قَـبَـسْـتُ المـجـدَ مِـنْ خـيرِ أبٍ
وقَـبَـسْـتُ الـدِّيـنَ مِـنْ خـيرِ نبي
وضـمَـمْـتُ الـفـخـرَ مـن أطـرافِـهِ
سُـؤْدَدَ الـفُـرْسِ ودِيـنَ الـعـرَبِ

٤. ومن جهةٍ ثانيَةٍ أَنَّ مهيارًا أسلم، عَلَى ماذكروا، سنة ٣٩٤[هـ]، بعدما كان يتردَّد

(١) ديوان مهيار: ١/ ٦٤.
(٢) (فتى) بدل (مدى).

الاستبصار في نفسهِ مِن زمن بعيد أطرى فيه الرسول الأعظم وآله[ﷺ] إطراء بديعًا، ولذلك كان يخاطبهم بعد الإسلام بقوله[1]: [من الرجز]

تضمُّني مِنْ طرفي حبلكم
مودَّة شاخت وديـن مقتبل

وفي العام الَّذِيَ أسلم فيه كتب إِلَى الكافي الأوحد وزير بهاء الدولة، يبشِّره بإسلامه، ويخاطب الفُرس مِن يومئذ بقوله: [من المتقارب]

تبدَّلتُ مِنْ ناركم رَبَّها
وخُبثِ مواقعها الخُلد طِيبا[2]
لأن كنتُ منكم فإنّ الهجيـ
ـن ينجب في الفَلَتاتِ النجيبا[3]

ويوشك أن تكُون شعوبيَّاته المأثورة عنهُ منظومة قبل إسلامه أو زمن تردُّده، ولا بدع إذا كان الفارسيّ غير المسلم شعوبيًّا، ففارس قبل الإسلام شعوبيَّة، وهي بعده لا يزال يضرب في أفئدتها عرق مِن العصبيَّة القوميَّة، يجرُّ الغالب إِلى شعوبيَّة أثيمة، ولذا ترى الشَّريف الرضيّ يرسل مناواتهم للعرب إرسال المثل في قوله[4]: [من المتقارب]

ألا إنَّني حَسْرَةُ الحَاسِدِينَ
وَمَا فتنة العُجْمِ إلَّا العَرَبْ

(١) ديوان مهيار: ٣/ ١١٦.
(٢) (مواقدها) بدل (مواقعها).
(٣) (يخُرجُ) بدل (ينجب). ديوان مهيار: ١/ ١٣.
(٤) (حَسَرْة) بدل (فتنة). ديوان الشريف الرضيّ: ٢٨٧.

سوى أَنِّي على ثقة أن شعوبيَّتَهُ- ابنة الأَعاجم- منظومة سنة ٣٨٧[هـ]، وذلك قبل إسلامه بسبع سنين، وهي مِن أوَّل نظمهُ، ولذلِك كانت شعوبيَّتَهُ الأُخرى- الرذيَّة- أَجمل منها مقالًا وأخفّ لهجة في التنديدِ بالعرب؛ لتأخُّرها في النظم عن أَختها، وربَّما ندَّد بهم سخطًا عَلَى خلفائِهم؛ لعدم استحقاقهم للخلافةِ، وإنا إذا لم نناقشهُ الحساب على عقيدتهِ؛ لأنَّها حرَّة، فلا يسعنا الإغضاء عن إغراقهِ بمدح الفُرس والتمدُّح بالفارسيَّة، الَّذِي كانت الظروف تدعو إليهما بنوعٍ خاصٍّ، فإنَّ ذلِك الإغراق يُنبئ عن شعوبيَّة أدبيَّة واغلة في أَعماق قلبه، سوى أَنَّهُ في خلال ذلِك لم يستطع أَن يكتم محاسن العروبة، إذ يقُول في بني عبد الرحيم[1]: [مجزوء الكامل]

عـــــربُ الأكـــــفِّ نـمـتـهـمُ
مِـــنْ فـــارسٍ أحـــرارهـــا[2]

ويقول بالعربي نسبًا وكرمًا، والفارسيّ سيرةً ومنزلًا.

وفي التزهُّد: [من الطويل]

فـهـل أنـا أَجْـبـي مـن مـقَـاوِل جِـمـيرٍ
وأمـنـعُ ظـهـرًا مِـنْ مُـشـيِّـد مـارِبِ[3]

وفي الغزل[4]: [من الهزج]

أيـــا عُـــــرْبُ ألـيـس الـغـد
رُ في ديـنـكُـمُ شَـيْـنـا!

(١) عميد الفاة أبو سعيد بن عبد الرحيم. ديوان مهيار: ٤/ ١٧٦.
(٢) ديوان مهيار: ١/ ٤٠٣.
(٣) ديوان مهيار: ١/ ٥٩.
(٤) ديوان مهيار: ٤/ ٥٨

وعَلَى العلَّات، فإنَّ مهيارًا نفسهُ لا يتبَرَّأ من الشُّعُوبيَّة، ولا ينزِّهه عنها كُلُّ مستقرئٍ لشعره، بيد أنَّهُ ليس بذلكَ السلط الَّذِي يجاهر باحتقار العرب بصلابة وشدَّة، أَو يمسّ كرامة دين الإسلام العربيّ بشيءٍ، ما كما يقع لغيرهِ، عَلَى أَنَّهُ، مع وفور نظمهُ، لم تظهر منهُ تلك الشُّعُوبيَّة أَدبيًّا إلَّا في أبيات مِن قصيدتهِ ابنة الأَعاجم، وَمَا أَراني مجازفًا لَو خصصتها فقط بالشُّعُوبيَّة، ولعلَّما كان ذلِك منهُ لوفور عرفانهُ بمحاسنِ العروبة، أمَّا أبياتُهُ التفضيليَّة مِن تلِكَ القصيدة، فإنَّ شهرتها تُغني عن الإطالة بذِكرِها.

وقد خرجت في هذا عن سرد الشُّعُوبيَّة إلَى شبه مقالة أَدبيَّة، لكنِّي بذلِك لم أخل بفائِدةٍ تتقدَّم بين يدي مستفيد[1].

[وآخر دعوانا أَن الحمد للهِ ربِّ العالمين].

(١) الاعتدال، الحلقة السادسة، السنة الثالثة، العدد العاشر، ١٩٣٦م: ٦١٣-٦٢٠.

المصادر

* القرآن الكريم.

١. أحسن الوديعة في تراجم مشاهير مجتهديّ الشيعة أَو الباقيات الصالحات في تتميم روضات الجنَّات، السَّيِّد مُحَمَّد مهدِيّ الموسويّ الأَصفهانيّ الكاظميّ، ط١، قم، مؤسَّسة تراث الشيعة، ٢٠١٥م.

٢. أخبار النَّحويين البصريِّين، السيرافيّ، تحقيق طه محمَّد الزينيّ، ومحمَّد عبد المنعم خفاجيّ، مصر، ١٩٩٥م.

٣. أدب الطفِّ أَو شُعراء الحسين مِن القرن الأَوَّل الهجري حتَّى القرن الرَّابع عشر، جواد شبَّر، بيروت، دار الطباعة، ١٩٧٠-١٩٧٨م.

٤. أساس البلاغة، الزمخشريّ، دار ومطابع الشعب، القاهرة، ١٩٦٠م.

٥. أسد الغابة، ابن الأثير، دار الكتاب العربيّ، بيروت، ط١، ١٩٩٤م.

٦. الإصابة، ابن حجر، تحقيق عادل الموجود، والشَّيخ على مُحَمَّد معوض، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

٧. أصول الكافي، ثقة الإسلام أَبو جعفر مُحَمَّد بن يعقُوب الكُلينيّ، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ٢٠٠٩م.

٨. الأَعلام، خير الدِّين الزركليّ، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٠م.

٩. أَعيان الشيعة، السَّيِّد محسن الأَمين (ت١٣٧١هـ)، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ط٥، ١٩٩٨م.

١٠. أَعيان العصر وأعوان النصر، صلاح الدِّين الصفديّ، تحقيق د. عليّ أبو زيد، د. نبيل أبو عشمة، د. محمَّد موعد، د. محمود سالم محمَّد، ط١، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٨٨م.

١١. الأَغاني، أَبو الفرج الأَصفهانيّ، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت.

١٢. امرؤ القيس حياتهُ وشعرهُ، الطاهر أحمد مكِّيّ، ط٢، ١٩٧٠، دار المعارف، القاهرة.

١٣. أَنساب الأَشرف، أَحمد بن يحيى بن جابر البلاذريّ، تحقيق د. مُحَمَّد حميد الله، دار المعارف، مصر، ١٩٥٩م.

١٤. الأنساب، السمعانيّ، تحقيق: تقديم وتعليق: عبد الله عمر البارودي، ط١، دار الجنان للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٨.

١٥. البابليَّات، الشَّيْخ مُحَمَّد عَليّ اليعقوبيّ، النَّجف الأَشرف، المطبعة العلميَّة، ١٩٥٤-١٩٥٥م.

١٦. بحار الأَنوار الجامعة لدرر الأَخبار الأَئِمَّة الأَطهار، العَلَّامة الشَّيخ مُحَمَّد باقر المجلسيّ، دار احياء التراث العربيّ، بيروت.

١٧. البدء والتاريخ، أحمد بن سهل البلخيّ، طبعة بالأوفست مكتبة المثنى ببغداد.

١٨. البدايَة والنهايَة، ابن كثير، تحقيق عليّ شيري، دار احياء التراث العربيّ، بيروت، ط١، ١٩٨٨م.

١٩. البيان والتبيين، الجاحظ، المكتبة التجاريَّة الكبرى، مصر، ط١، ١٩٢٦م.

٢٠. تاريخ ابن خلدون، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت.

٢١. تاريخ الإسلام، الذهبيّ، تحقيق د. عمر عبد السَّلام تدمري، دار الكتاب العربيّ، ط١، ١٩٨٧م.

٢٢. تاريخ الخلفاء، جلال الدِّين السيوطيّ، تحقيق لجنة من الأُدباء، مطابع معتوق إخوان، بيروت.

٢٣. تاريخ الدولة الأمويَّة، محمَّد سهيل طقوش، ط٧، دار النفائس، بيروت، ٢٠١٠م.

٢٤. تاريخ الطبريّ، محمَّد بن جرير الطبريّ، مؤسَّسة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت، ط٤، ١٩٨٣م.

٢٥. تاريخ اليعقوبيّ، أحمد بن أبي يعقوب، دار صادر، بيروت.

٢٦. تاريخ بغداد، الخطيب البغداديّ، دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.

٢٧. تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، تحقيق عليّ شيريّ، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ.

٢٨. تجارب الأمم، أحمد بن محمَّد مسكويه الرازي، تحقيق د. أبو القاسم اماميّ، مطابع دار سروش، ٢٠٠١م.

٢٩. الجاحظ، الحيوان، ط٢، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٤٢٤هـ.

٣٠. جمهرة أنساب العرب، ابن حزم، تحقيق لجنة العُلماء، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط١، ١٩٨٣م.

٣١. الخرائج والجرائح، قطب الدين الراونديّ، تحقيق: مؤسَّسة الإمام المهديّ عليه السلام، ط١، المطبعة العلميَّة، قم، ١٤٠٩هـ.

٣٢. خزانة الأدب وغايَّة الأَرب، عليّ بن مُحمَّد الحمويّ، دار القاموس الحديث، بيروت.

٣٣. خزانة الأدب، البغداديّ، تحقيق: محمَّد نبيل طريفي، إميل بديع اليعقوب، ط١، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٩٩٨م.

٣٤. دول الإسلام، الذهبيّ، مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانيَّة، حيدر آباد الدكن، ٢٠١٩م.

٣٥. ديوان أبو نواس، دار صادر، بيروت.

٣٦. ديوان أبي الشمقمق، جمع وتحقيق د. واضح مُحمَّد الصَّمد، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط١، ١٩٩٥م.

٣٧. ديوان الشَّريف الرضيّ، شرحهُ وعلَّق عليه، د. محمود مصطفى حلاوي، ط١، دار الأرقم، بيروت، ٢٠١١م.

٣٨. ديوان الشَّريف الرضيّ، صنعهُ أَبو حكيم الخبريّ، تحقيق، د. عبد الفتاح محمَّد الحلو، الجمهوريَّة العراقيَّة، ط١.

٣٩. ديوان الكميت، صنعه أ.د. حاتم صالح الضامن، دار صادر، بيروت.

٤٠. ديوان المتنبِّي، دار بيروت، لبنان، ١٩٨٣م.

٤١. ديوان امرئ القيس، تحقيق مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم، ط٥، دار المعارف.

٤٢. ديوان بشَّار بن برد، جمع وتحقيق محمَّد الطاهر ابن عاشور، مطبعة لجنة التأليف، ١٩٥٧م.

٤٣. ديوان مهيار الديلميّ، أبو الحسن مهيار بن مرزويه الديلميّ، منشورات الشَّريف الرضيّ، ايران، ط١، ١٤١٣هـ.

٤٤. الذريعة إلى تصانيف الشيعة، العلَّامة الشَّيْخ آغا بزرك الطهرانيّ، دار الأَضواء، بيروت، ط٣، ١٩٨٣م.

٤٥. ذكرى الشيعة في أَحكام الشريعة، الشهيد الأوَّل، مؤسَّسة آل البيت لإحياء التراث، قم، ط١، ١٤١٩هـ.

٤٦. ذيل كشف الظنون، آغا بزرك الطهرانيّ، تحقيق مُحَمَّد مهدي الخرسان، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت.

٤٧. الروض الأنف في تفسير السيرة النبويَّة لابن هشام، أبو القاسم السهيليّ، تحقيق عمر عبد السَّلام السلاميّ، ط١، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ٢٠٠٠م.

٤٨. رياض العُلماء وحياض الفُضلاء، الشَّيخ عبد الله الأَفنديّ الأصفهانيّ، منشورات مكتبة آية الله المرعشيّ، ١٤٠٣هـ.

٤٩. سنن أبي داوود، سليمان بن الأشعث السجستانيّ، تحقيق سعيد مُحَمَّد اللحَّام، دار الطباعة، ط١، ١٩٩٠م.

٥٠. سنن الترمذي، الترمذي، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٨٣م.

٥١. سير أعلام النُّبلاء، الذهبيّ، تحقيق حسين الأَسد، مؤسَّسة الرسالة، بيروت، ط٩، ١٩٩٣م.

٥٢. شرح القواعد (كتاب المتاجر)، الشَّيخ جعفر ابن الشَّيخ خضر الجناجيّ، تحقيق السَّيِّد مُحَمَّد حسين الرضويّ، ط١، ٢٠٠٢م.

٥٣. شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحرانيّ، إيران، ط١، ١٣٦٢ش.

٥٤. الشِّعر والشُّعراء أو طبقات الشُّعراء، بن قتيبة الدينوريّ، تحقيق د. مفيد قميحة ومُحَمَّد أَمين، دار الكتب العلميَّة، لبنان، ط٣، ٢٠٠٩م.

٥٥. شعراء الحِلَّة أَوْ البابليَّات، الشَّيْخ علي الخاقانيّ، بيروت، دار الأندلس، ١٩٦٤م.

٥٦. شعراء الغريّ أو النَّجفيات، الشَّيخ عليّ الخاقانيّ، المطبعة الحيدريَّة، النَّجف الأَشرف، ط١، ١٩٥٤م.

٥٧. شيخ الشريعة، الشَّيخ عبد الحسين الحِلِّيّ، تحقيق كامل سلمان الجبوريّ، دار القارئ، بيروت، ط١، ٢٠١٥م.

٥٨. صبح الأعشى في صناعة الإنشا، أحمد بن عليّ القلقشنديّ، تحقيق: محمَّد حسين شمس الدِّين، دار الكتب العلميَّة، بيروت.

٥٩. صبح الأعشى في صناعة الإنشا، أَحمد بن علي القلقشنديّ، شرحهُ وعلَّق عليهِ وقابل نصوصهُ محمَّد حسين شمس الدِّين، دار الكتب العلميَّة، بيروت.

٦٠. صحيح مسلم، مسلم النيسابوريّ، دار الفكر، بيروت.

٦١. ضحى الإسلام، أحمد أمين، ط١٠، دار الكتاب العربيّ.

٦٢. طبقات أعلام الشيعة، الشَّيخ آغا بُزرك الطهرانيّ، دار احياء التُّراث العربيّ، بيروت، ط١، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

٦٣. الطبقات الكبرى، ابن سعد، دار صادر، بيروت.

٦٤. الطليعة مِن شُعراء الشيعة، العلَّامة الشَّيْخ مُحَمَّد السماويّ، تحقيق، د. كامل سلمان الجبوريّ، دار المؤرِّخ العربيّ، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

٦٥. عبد الملك الثعالبيّ النيسابوريّ، يتيمة الدهر، شرح وتحقيق: د. مفيد محمَّد قمحية، ط١، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٩٨٣م.

٦٦. العقد المنير، السَّيِّد موسى الحُسينيّ المازندرانيّ، ط٢، المطبعة الإسلاميَّة، إيران، ١٣٨٢هـ.

٦٧. العيون والحدائق في أخبار الحقائق، ابن مسكوية، مكتبة المثنَّى، بغداد، ١٩٦٤م.

٦٨. غايَة المراد في شرح نكت الإرشاد، الشهيد الأوَّل، تحقيق رضا المختاريّ، مكتبة الإعلام الإسلاميّ، قم، ط١، ١٤١٤هـ.

٦٩. الغدير في الكتاب والسنَّة، عبد الحسين الأَمينيّ النَّجفيّ، دار الكتاب العربيّ، بيروت، ط٤، ١٩٧٧م.

٧٠. الفتاوى الكبرى، ابن تيمية، تحقيق: محمَّد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٩٨٧م.

٧١. الفهرست ابن النديم، مطبعة الاستقامة، القاهرة.

٧٢. فوات الوفيات، الكتبيّ، تحقيق عليّ محمَّد بن يعوض الله، عادل أحمد عبد الموجود، ط١، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ٢٠٠٠م.

٧٣. الكامل في التاريخ، ابن الأثير، دار صادر، بيروت، ١٩٦٦م.

٧٤. اللامع العزيزيّ شرح ديوان المتنبِّي، أبو العلاء المعرِّي، تحقيق محمَّد سعيد المولوي، ط١، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلاميَّة، ٢٠٠٨م.

٧٥. لسان العرب، أَبو الفضل جمال الدِّين محمَّد ابن منظر الإفريقيّ المصريّ، أَدب الحوزة، قم، ١٤٠٥هـ.

٧٦. ماضي النَّجف وحاضرها، الشَّيخ جعفر الشَّيخ باقر آل محبوبه، ط٢، دار الأضواء، بيروت، ٢٠٠٩م.

٧٧. المحلَّى، ابن حزم، دار الفكر، بيروت.

٧٨. مختصر المعاني، أسعد التفتازانيّ، دار الفكر، قم، ط١، ١٤١١هـ.

٧٩. مروج الذهب ومعادن الجوهر، المسعودي، دار الهجرة، إيران، ١٩٨٤م.

٨٠. مسالك الأفهام إلى آيات الأحكام، الجواد الكاظميّ، حقَّقه وعلّق عليهِ وأَخرج أحاديثهُ الشَّيخ محمَّد باقر شريف زاده، صحَّحهُ وحقَّقهُ محمَّد الباقر بهبوديّ، المكتبة الرضويَّة، طهران.

٨١. مستدرك أعيان الشيعة، حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ط٢، ١٩٩٧م.

٨٢. مستدرك الوسائل، ميرزا حسين النوريّ الطبرسيّ، مؤسَّسة آل البيتّ لإحياء التراث، ط١، ١٩٨٧م.

٨٣. المصطلحات، إعداد مركز المعجم الفقهيّ، مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث.

٨٤. معارف الرجال في تراجم العُلماء والأُدباء، الشَّيخ مُحَمَّد حسين حرز الدِّين، ط١، منشورات المرعشيّ النَّجفيّ، إيران، قم، ١٤٠٥هـ.

٨٥. معجم الأُدباء من العصر الجاهليّ حتَّى سنة ٢٠٠٢، كامل سلمان الجبوري، ط١، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣م.

٨٦. معجم الأَدباء، ياقوت الحمويّ، دار الفكر، بيروت، ط٣، ١٤٠٠هـ.

٨٧. معجم البلدان، ياقوت الحمويّ، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ١٩٧٩م.

٨٨. المعجم المختص بالمحدثين، شمس الدِّين الذهبيّ (ت٧٤٨هـ)، تحقيق محمَّد الحبيب الهيلة، ط١، مكتبة الصديق، الطائف، ١٩٨٨م.

٨٩. معجم المؤلِّفين، عمر كحالة، مكتبة المثنَّى، بيروت.

٩٠. مُعجم رجال الفكر والأَدب في النَّجف خلال ألف عام، د. مُحَمَّد هادي الأَمينيّ، ط٢، دار الكتاب الإسلاميّ، بيروت ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

٩١. معجم ما استعجم، البكريّ الأَندلسيّ، تحقيق مصطفى السقَّا، عالم الكتب، بيروت، ط٣، ١٩٨٣م.

٩٢. مقاتل الطالبيِّين، أَبو الفرج الأَصفهانيّ، تحقيق كاظم المظفَّر، المكتبة الحيدريَّة، النَّجف الأَشرف، ط٢، ١٩٦٥م.

٩٣. الملل والنحل، الشهرستانيّ، تحقيق محمَّد سيِّد كيلانيّ، دار المعرفة، بيروت.

٩٤. موسوعة الشَّريف الرضيّ، السَّيِّد عليّ بن الحسين بن موسى ابن الشَّريف المرتضى، ط١، مؤسَّسة التاريخ العربيّ، بيروت، ٢٠١٢م.

٩٥. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، يوسف بن تغري بردي الأتابكيّ، مطابع كستاتسوماس وشركاه، القاهرة.

٩٦. نزهة الألبَّاء، الأنباريّ، تحقيق محمَّد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة المدنيّ، مصر.

٩٧. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، الشَّيخ أحمد بن مُحَمَّد المقري التلمسانيّ، تحقيق يوسف الشَّيخ مُحَمَّد البقاعيّ، دار الفكر، ١٩٦٩م.

٩٨. نهاية الأرب في فنون الأدب، النويري، مطابع گوستاتسوماس وشركاه، القاهرة.

٩٩. نهاية الأرب في فنون الأدب، النويريّ، نشر وزارة الثقافة والإرشاد القوميّ، المؤسَّسة المصريَّة العامَّة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، مطابع گوستاتسوماس وشركاه.

١٠٠. الهداية، الشَّيخ الصدوق، تحقيق مؤسَّسة الإمام الهادي عليه السلام، اعتماد، قم، ط١، ١٤١٨هـ.

١٠١. الوافي بالوفيات، صلاح الدِّين خليل بن أيبك الصَّفديّ، تحقيق أَبو عبد الله جلال الأسيوطيّ، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط١، ٢٠١٠م.

١٠٢. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان، تحقيق إحسان عبَّاس، دار الثقافة، بيروت.

١٠٣. وقعة صفِّين، ابن مزاحم المنقريّ، تحقيق وشرح عبد السَّلام محمَّد هارون، ط٢، المؤسَّسة العربيَّة الحديثة، مصر، ١٤٠٣هـ.

المجلات والدوريَّات

١٠٤. مجلَّة الاعتدال، السنة الثالثة، رئيس التحرير مُحمَّد عليّ البلاغيّ، المطبعة العلويّة، النَّجف الأَشرف، ١٩٣٥-١٩٣٦م.

١٠٥. مجلَّة تراثنا، مؤسَّسة آل البيت لإحياء التراث، قم، ١٤٠٥هـ.

المخطوطات

١٠٦. الحصون المنيعة، الشَّيخ عليّ بن مُحمَّد رضا كاشف الغطاء (ت١٣٥٠هـ).

١٠٧. دار الفاطميَّة مِن تراث الأُسرة القزوينيَّة في الحِلَّة الفيحاء، أَحمد نزر الحِلِّيّ.